

أحسن ما جمع

تأليف
العلامة الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
الثعالبي
المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

يحتوي على اثنين وعشرين باباً من الشعر والنثر في اللغات
والنبوتيات واللاهوتيات والأدبيات وغيرها
مما هو موضح في فهرس المحتويات

وضع حواشيه
فخائل عمران المنصور

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة
تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو
برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة
الناشر خطياً.

Exclusive Rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف، شارع البحتري، بناية ملكات
(٩١١ ١) ٣٧٨٥٤٢ - ٣٦١٣٥٠ - ٣٦٤٣٩٨
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

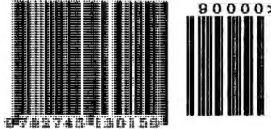
Ramel Al-Zarif, Bohatory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohatory, Imm. Melkart, 1ère Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3015-3



<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين، وبعد:
فهذا كتاب «أحسن ما سمعت» وهو من تصنيف العلامة الأديب أبي منصور الثعالبي
والذي يحتوي على اثنين وعشرون باباً في الإلهيات، الأدبيات، الخمریات، الربيع،
الصيف، الخريف، الشتاء، الدنيا، الدهر، النساء، الشيب، الشباب، مكارم الأخلاق،
الشكر، العذر، التهاني، المراثي، التعازي، فنون في المحاسن مختلفة.

فهذا الكتاب جامع شامل لفنون الشعر والسحر. فقد اختار مؤلفه أحسن الكلام
مما قيل في أغراض الشعر وفي جوانب الحياة المختلفة.

وبما أن الثعالبي أديب ضالع في اللغة وفي الشعر والأدب وله من الخبرة في
الحياة والحكمة التي اكتسبها من الخوض في غمارها والمعرفة التي ألمّ بها والتجارب
التي مرّ بها وعاصرها فقد كان هذا الكتاب القيم خلاصة هذا الفكر وخلاصة هذه
التجارب. فقد تنوعت أبوابه وطرقت جوانب هامة في حياة كل إنسان ليكون ملاذاً لكل
من أراد الفرح والمتعة والعزاء لمن أراد التّعزي وحسب الحالة التي تغلب على القارئ
أثناء تناوله للكتاب.

لذلك فإن الثعالبي كان دقيقاً في اختيار ما يناسب الموضوعات التي طرقها والتي
عالج فيها الواقع بموضوعية وواقعية وأغناها بالشواهد الشعرية لشعراء كانوا حكماء في
تناولهم للأغراض وللقضايا التي اعترضتهم أو سمعوا بها.
وفي الختام نرجو أن نكون وفقنا في تقديم هذا الكتاب ليرفد مكتبتنا العربية بدرجة
جميلة من تراثنا العربي والله من وراء القصد.

خليل عمران المنصور

قرمض ٢٠٠٠/٢/١٠م

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
قال الشيخ الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالبي عفا الله عنه ، والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .
«وبعد» فقد أثبت في كتابي هذا «أحسن ما سمعت» وسميته بذلك ورتبته على اثنين وعشرين باباً ، فجاء نزهة للناظر ، وبهجة للخاطر ، وبالله المعونة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول

في الإلهيات

أحسن ما جاء نظماً في حمد الله وذم الزمان ابن المعتز^(١):
حمداً لربي وذمّاً للزمانِ فما أقلّ في هذه الدنيا مسراتي
وقول مؤلف الكتاب:

حمدتُ إنهي والزمان ذمتهُ فقد طال ما أغرئ بقلبي البلايا
وعندي من لؤم الزمانِ رقائِقُ أعد لها من فضل ربي جلائلا
من أحسن ما قيل في الشكر لله^(٢) على نعمته قول محمود:
إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليّ له في مثلها يجبُ الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلِهِ وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا عمّ بالسراء عمّ سرورها وإن خصّ بالضراء أعقبها الأجر^(٣)
ومن أحسن ما قيل في ذلك أيضاً قول صالح بن عبد القدوس^(٤):
لله أحمد شاكراً فبلاؤه حسن جميل
أصبحتُ مسروراً معاً ما بين أنعمه أجول

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله، شاعر مبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم، ختفه خادم المقتدر سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م. الأعلام ١١٨/٤، والأغاني ٦٧/٢١، ٣٢٣/١٠، ووفيات الأعيان ٧٦/٣.

(٢) الشكر: قيل: شكر النعمة مشاهدة المنّة وحفظ الحرمة، وشكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيلاً، والشكر إضافة النعم إلى موليتها بنعت الاستكانة. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية (الشكر) ص ١٧٣-١٧٨).

(٣) السراء: الخير والنعمة يُسرّ بها (ضد الضراء).

(٤) صالح بن عبد القدوس (نحو ١٦٠هـ/نحو ٧٧٧م) الأزدي الجذامي، مولاها، أبو الفضل، شاعر حكيم، كان متكلماً، يعظ الناس في البصرة. شعره كله أمثال وحكم وآداب. أتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد، وعمي في آخر عمره.

الأعلام ١٩٢/٣، والأغاني ١٧٣/١٤، ووفيات الأعيان ٢/٤٩٢-٤٩٣، ومعجم الأدباء ٤١٩/٣.

خلو من الأحزان خـ
حرأ فلا منن لمخـ
سئان عندي ذو الغنى الـ
ويقنت بالناس الأذى
والناس كلهم لمن
ومن أحسن محمود في ذلك قوله:

فلو كان يستعلي على الشكر ماجد
لما أمر الله الحكيم بشكره
ومن أحسن البحتري^(٢) قوله:

ما أضعف الإنسان لولا قوة
من لا يقوم بشكر نعمة خلّه
ومن أحسن ما قيل:

كم نعمة لا يستقل بشكرها
ومن أحسن ما سمعته في التوحيد^(٤) قول أبي العتاهية^(٥):

أيا عجباً^(٧) كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

(١) الثقلان: الإنس والجن.

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ = ٨٢١ - ٨٩٨ م) أبو عباد البحتري، شاعر كبير، ولد بمنبج ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج له «ديوان شعر»، وكتاب «الحماسة».

الأعلام ١٢١/٨، وتاريخ بغداد ٤٤٦/١٣، ومفتاح السعادة ١٩٣/١، ووفيات الأعيان ٢١/٦، والأغاني ٤٢/٢١.

(٣) اللب: خالص كل شيء وجوهره وحقيقته. واللب: العقل (ج) ألباب.

(٤) التوحيد: هو الحكم بأن الله تعالى واحد، والعلم بأن الشيء واحد. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية (التوحيد) ص ٢٩٨ - ٣٠٣).

(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي بالولاء (١٣٠ - ٢١١ هـ = ٧٤٨ - ٨٢٦ م) أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية، شاعر مكثّر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، ولد في «عين النمر» ونشأ بالكوفة، وسكن بغداد.

الأعلام ٣٢١/١، والأغاني ٤/ ٣ - ١١٨، والشعر والشعراء ص ٥٣٤، ومعاهد التنصيص ٢٨٥/٢ ولسان الميزان ٤٢٦/١.

(٦) الأبيات في الأغاني ٣٩/٤.

(٧) في الأغاني ٣٩/٤: فيا عجباً.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدأ شاهداً
ومن أحسن أبي الفتح البستي^(١) قوله:

كل من يُرتقى إليه بوهم من جلال وقدره وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى منه سبحان مبدع الأشياء
ومن أحسن ما قيل في الاستغناء بالله عن غيره قول محمود:

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك وهن منك في الدين^(٢)
واسترزق الله مما في خزائنه فإن ذلك بين الكاف والنون
وأحسن منه قول عبد الصمد^(٣) وهو من قلائده:

تكلفني إذلال نفسي لعزها وهان عليها أن أهان وتكرما
تقول: سل المعروف يحيى بن أكثم فقلت: سليه رب يحيى بن أكثم^(٤)
وأحسن منه قول ابن المعتز:

دع الناس إذ طالما أتعبوك وأد إلى الله وجه الأمل
ولا تطلب الرزق من طالبيه واطلبه ممن له قد كفل
ومن أحسن ما قيل في التوكل^(٥) على الله قول عبد الله:

(١) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي (توفي ٤٠٠هـ = ١٠١٠م) أبو الفتح. شاعر عصره وكاتبه. ولد في بستا وإليها نسبته، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان. وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين وخدم ابنه يمين الدولة. ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريباً في بلدة «أوزجند». له «ديوان شعر».

الأعلام ٣٢٦/٤، ومفتاح السعادة ٢٢٩/١، وبيضة الدهر ٣٤٥/٤، ووفيات الأعيان ٣٧٦/٣.
(٢) الوهن: الضعف في العمل أو الأمر أو البدن.

(٣) هو عبد الصمد بن المعذل شاعر مائة وخمسين ورقة، فصيح، من شعراء الدولة العباسية بصري المولد والمنشأ، ويكنى أبا القاسم. كان هجاء خيث للسان شديد العارضة. توفي في حدود ٢٤٠هـ.
الأعلام ١١/٤، وفوات الوفيات ٣٣٠/٢، والأغاني ٢٥٢/١٣، والفهرست ص ١٨٩.

(٤) يحيى بن أكثم التميمي الأسدي المروزي، قاض رفيع القدر عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب. اتصل بالمأمون فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢هـ ثم قضاء القضاة ببغداد. توفي سنة ٢٤٢هـ. الأعلام ١٣٨/٨، والأغاني ٢٧٥/١٣.

(٥) التوكل: قيل: هو الاعتصام بالله تعالى، وقيل: أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء، لا يكون له حركة ولا تدبير. (للتوسع انظر حديث القشيري عن التوكل برسالته ص ١٦٢-١٧٣).

هو الصَّبْرُ والتَّسْلِيمُ لِلَّهِ والرضا إذا نَحَرْتُ أبنا سالِمِينَ بأنفسِ
إذا نزلت بي خُطَّة لا أَسْأُؤُهَا^(١)
فأنفُسنا خير الغنِمة إنْها
كرام رجت أَمْراً فخابَ رجاؤُها
ومن أحسن ما قيل فيه قول بعضهم:

تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِي النَّائِبَا
تِ وَلَا تَبْغْ فِيهَا سِوَاهُ بَدِيلَا
وَتَقْ بِجَمِيلٍ صَنِيعِ الْإِلَهِ
فَمَا عَوْدَ اللَّهِ إِلَّا جَمِيلَا
وقول الآخر:

أَحْسَنُ الظَّنِّ بِمَنْ تَعُودُكَ
كُلِّ إِحْسَانٍ وَسِوَى أَوْدُكَ^(٢)
إِنْ رِئَاءَكَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَا
نَ بِالْأَمْسِ سِيَكْفِيكَ غَدُكَ

فصل

في الثناء على الله عند وصف الأشياء الحسنة

ومن أحسن ما قيل في النرجس^(٤) قول أبي نواس^(٥):

تأمل في نباتِ الأرضِ وانظر إلى آثارِ ما صنع المليك
عيونٌ من لجينٍ شاخصاتٍ بأحداقٍ كما الذهب السبيك^(٦)
على قضبِ الزُّبرجدِ شاهداتٍ بأنَّ اللّهَ ليسَ لهُ شريك^(٧)

(١) الخُطَّة: المكان الذي اختط لعمارة، أو الأرض التي يختطها الرجل لنفسه ولم تكن لأحد قبله. والخُطَّة: الحالة والخصلة والطريقة والقصة والأمر.

(٢) آب إليه: رجع.

(٣) الأود: الاعوجاج.

(٤) النرجس: جنس نباتات بصلية حولية من فصيلة النرجسيات. أنواعه كثيرة العدد، يعيش ويجود في جميع الأتربة الزراعية. وفيه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها وزهرته تُشَبَّه بها الأعين.

(٥) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء (١٤٦ - ١٩٨ هـ = ٧٦٣ - ٨١٤ م) أبو نواس، شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس. ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. له «ديوان شعر».

الأعلام ٢/٢٢٥، ومعاهد التنصيص ٨٣/١، ونزهة الجليس ٣٠٢/١، وخزانة البغدادي ١/١٦٨ والشعر والشعراء ص ٥٣٨، والأغاني ٧١/٢٠، ووفيات الأعيان ٩٥/٢.

(٦) اللِّجَيْن: الفضة. سبك المعدن: ذَوِّبَهُ وأفرغهُ في قالب.

(٧) الزُّبْرَجْدُ: حجر كريم ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر والأصفر.

ومن أحسن ما قيل في استحسان الصورة قول ابن سكرة^(١)^(٢):

وشادين ما رأيت طلعتَه الزهراء^(٣) إلا شككت في القمر^(٤)
كم^(٥) قلت لما رأيت صورته تبارك الله خالق الصور

ومن أحسن ما قيل في آثار الربيع قول بعضهم:

أربأ بربيع للربيع وكُنْ له ضيفاً تكن ندماءك الأنوار^(٦)

من قانئ في ناضر في فاقع في ناصع صباغها الجبار^(٧)

ومن أحسن ما قيل في الإلهيات قول محمود:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

وقول ابن الرومي^(٨):

أمن ضيق مشوى المرء في بطن أمه إلى ضيق مثواه من القبر يسلم^(٩)

ولم يلق بين الضيق والضيق فسحة إلى ذلك إن الله بالعبد أرحم^(١٠)

وقول أبي فراس الحمداني^(١١):

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد الهاشمي (توفي ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م) أبو الحسن، المعروف بابن سكرة من ولد علي بن المهدي العباسي، شاعر كبير، من أهل بغداد، له «ديوان شعر» في أربعة مجلدات الأعلام ٢٢٥/٦، وتاريخ بغداد ٤٦٥/٥، والوافي بالوفيات ٣/٣٠٨، ووفيات الأعيان ٤/٤١٠ وريضة الدهر ٣/٣.

(٢) البيتان في ربيعة الدهر ٩/٣ وهما من المنسرح.

(٣) في ربيعة الدهر ٩/٣: غزته الغزاء.

(٤) الشادين: ولد الظبية خصوصاً (ج) شوادن.

(٥) في ربيعة الدهر ٩/٣: قد.

(٦) ربأ في الأمر: نظر وفكر.

(٧) قنأ الشيء: اشتدت حمرة، فهو قانئ.

الفاقع: الخالص الصافي من الألوان وأكثر ما يوصف به الأصفر، فهو فاقع. الناصع: الخالص الصافي من كل شيء.

(٨) هو علي بن العباس بن جريج (٢٢١ - ٣٨٣ هـ = ٨٣٦ - ٨٩٦ م) الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير رومي الأصل. ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً. له «ديوان شعر».

الأعلام ٢٩٧/٤، ومعاهد التنخيص ١/١٠٨، وتاريخ بغداد ١٢/٢٢، ووفيات الأعيان ٣/٣٥٨، ومعجم الشعراء ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٩) المثنوى، المنزل الذي يقام فيه، أو محل إقامة التزليل (ج) المثنوي.

(١٠) الفسحة: السعة أو الفرجة بين الدور.

(١١) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ = ٩٣٢ - ٩٦٨ م) أبو فراس

إذا كَانَ غير الله للمرءِ عدَّةٌ أتته الرزايا من وجوه الفوائد^(١)
وقول مؤلف الكتاب :

إليك المشتكى لا منك ربي وأنت لنائب الدهر حسبي
ترؤي غلتي وترم حالي وتؤمن روعتي وتزيل كرب^(٢)

الباب الثاني

في النبويات

فصل

في ذكر آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله

يا ساهراً يرنو بعيني راقد ومشاهداً للأمر غير مشاهد^(٣)
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد
أنسيت أن الله أخرج آدمأ منها إلى الدنيا بذنب واحد
وقول أبي النّوّاس^(٤) :

عجبت من إبليس في لعنته وخبت ما أظهر من نيته
تأه على آدم في سجده فصار قواداً لذريته

= الحمداني، أمير، شاعر، فارس. وهو ابن عم سيف الدولة. وله وقائع كثيرة، وكان سيف الدولة يحبه ويحله ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبجاً وحرّان وأعمالها، فكان يسكن بمنبج ويتنقل في بلاد الشام، وجرح في معركة مع الروم، فأسروه فامتاز شعره في الأسر بروميّاته، وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة. قُتل في تدمر وقيل : مات قتيلاً في صدد. له ديوان شعر.

الأعلام ١٥٥/٢، وبيّمة الدهر ٥٧/١، ووفيات الأعيان ٥٨/٢.

(١) البيت في بيّمة الدهر ١٠٧/١ وهو من [الطويل].

(٢) رم الشيء: أصلحه ولمّ ما تفرّق منه.

(٣) رنا إليه: أدام نظره إليه في سكون طَرْف.

(٤) البيتان في الشعر والشعراء ص ٥٥٢، وروايتهما فيه:

- عجت من إبليس في تيهه وعظم ما أظهر من نخوته
- تأه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

وقول السري^(١):

من ذم إبليس في قيادته فإنني حامد لإبليس
كلم لي عاصياً فكان له أطوع من آدم لإبليس
وكان في سرعة المجيء به آصف في حمل عرش بلقيس

فصل

في ذكر نوح عليه السلام

قال الصولي^(٢) في كتاب «الوزراء»: كان أول ما ارتفع به أمر أحمد بن يوسف أن المخلوع لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا بذلك إلى المأمون فأطالوا فقال طاهر: أريد أحسن من هذا كله وأوجز فوصف له أحمد بن يوسف فأمر بإحضاره فحضر وكتب ما هو أحسن في معناه (أما بعد) فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة^(٣) فقد فرق كتاب الله بينهما في الولاية والحرمة، فيما قص علينا من نبأ نوح وابنه، حيث قال تعالى: ﴿يَنْتُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] ولا صلة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت في ذات الله وكتب إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ورداه^(٤) رداء النكبة ووجهت إلى أمير المؤمنين الدنيا والآخرة، أما الدنيا فرأس المخلوع، وأما الآخرة فالبردة^(٥) والقضيب، فالحمد لله الآخذ له ممن خان

(١) هو السري بن أحمد بن السري الكندي (توفي ٣٦٦هـ = ٩٧٦م) أبو الحسن، شاعر، أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء، ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب فمدحه وأقام عنده مدة. ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان محمد وسعيد ابنا هاشم فأذياه وأبعده عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة وركبه الدين، ومات ببغداد على تلك الحال. من كتبه «ديوان شعره» و«المحب والمحبوب والمشموم والمشروب».

الأعلام ٨١/٣، وبتيمة الدهر ١٣٧/٢، ومعاهد التنصيص ٢٨٠/٣، وتاريخ بغداد ١٩٤/٩، وكشف الظنون ١٦/١، ووفيات الأعيان ٣٥٩/٢، ومعجم الأدباء ٣٥٩/٣.

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبدالله (توفي ٣٣٥هـ = ٩٤٦م) أبو بكر الصولي، وقد يُعرف بالشطرنجي نديم، من أكابر علماء الأدب. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، وله تصانيف منها «الوزراء»، «الأوراق» و«أشعار أولاد الخلفاء» و«أخبار القرامطة» وغير ذلك. توفي في البصرة مستراً.

الأعلام ١٣٦/٧، ووفيات الأعيان ٥٠٨/١، والنجوم الزاهرة ٢٩٦/٣، وتاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

(٣) اللُحمة: القرابة (ج) لَحَم.

(٤) رداه في البثر: أسقطه فيها.

(٥) البردة: ثوب مخطط، أو موشى يلتحف به.

عهده، ونكث على عقده، حتى رد لأمر المؤمنين الألفة وأقام به الشريعة، فرضي ذلك وأنفذه فوصل أحمد بن يوسف وعلا قدره حتى استوزره المأمون.
قال مؤلف الكتاب وقد قال الأول:

كانت مودة سلمان لنا نسباً ولم يكن بين نوح وابنه نسب

فصل

في ذكر إبراهيم عليه السلام

أحسن ما سمعت في عيادة الرؤساء من وجع القدم قول بعضهم:
كيف نال الغبار من لم يزل منه له مقيل في كل خطبٍ جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لم يخط إلا إلى مقام كريم
كمقام النبي أحمد أو مثل مقام الخليل إبراهيم

فصل

في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام

أحسن ما سمعته في براءة الساحة قول أبي طالب^(١)^(٢):
وعصبية بات فيها الغيظ^(٣) متقدماً إذ شئت لي فوق أعناق العدا رتباً
فكنت يوسف، والأسباط، هم، وأبو الأسباط أنت ودعواهم دماً كذباً^(٤)
ومن أحسن ما سمعت في حسن عاقبة المحبوس قول البحري:
أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الضيم والإفك^(٥)

(١) هو عبد السلام بن الحسين المأموني (توفي ٣٨٣هـ = ٩٩٣م) أبو طالب، شاعر، من العلماء بالأدب. يتصل نسبه بالمأمون العباسي، ولد وتعلم ببغداد، وسافر إلى الري، فامتدح صاحب بن عباد، وأقام عنده مدة في أرفع منزلة، فحسده ندماء صاحب وسعوا فيه إليه بالباطيل، ف شعر بهم أبو طالب فاستأذن بالسفر، فأذن له، فانتقل إلى نيسابور ثم إلى بخارى. ولقي فيها بعض أولاد الخلفاء، عاجلته المنية بعلّة الاستسقاء مات قبل أن يبلغ الأربعين.

الأعلام ٥/٤، وفوات الوفيات ١/٢٧٣، وريضة الدهر ٤/١٨٣.

(٢) البيتان في ربيعة الدهر ٤/١٨٤ وهما من البسيط.

(٣) في ربيعة الدهر ٤/١٨٤: الغيظ.

(٤) رواية البيت في ربيعة الدهر ٤/١٨٤:

فكنت يوسف والأسباط، وأبو الأسباط أنت، ودعواهم دماً كذباً

(٥) الإفك: الكذب أو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء.

أقام جميل الصبر في السجن مدة فاض به الصبر الجميل إلى الملك^(١)

فصل

في ذكر موسى عليه السلام

لم أسمع أحسن على القبح من قول (العلوي) في هجائه لابن رستم وهو أحمد ابن محمد بن إسماعيل:

جئت فرداً بلا أب وبيمناك بياض فأنت عيسى وموسى
من أحسن ما قيل قول أبي نواس^(٢):
أيا مَنْ^(٣) ليس يكفيها خليل ولا ألفا خليل كل عام
لأنت^(٤) بقية من قوم موسى فهُمْ لا يضربون على طعام

فصل

في ذكر داود وسليمان عليهما السلام

من أحسن ما قيل في الاستعطاف قول الشاعر:
الآن لداود الحديد بقدرة إله على تليين قلبك قادر
ومن أحسن ما قيل في رفع الأعداء رؤوسهم عند موت من كان يقمعهم^(٥). قول
أبي القاسم بن العلا^(٦) في مراثية الصاحب^{(٧)(٨)}:

- (١) آض: عاد.
- (٢) البيتان في الشعر والشعراء ص ٥٥٣.
- (٣) في الشعر والشعراء ص ٥٥٣: فيامن.
- (٤) في الشعر والشعراء ص ٥٥٣: أراك.
- (٥) أقمعه: قهره وذله ورد.
- (٦) في يتيمة الدهر ٣/٣٢٩: من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني وهي من البسيط.
- (٧) هو إسماعيل بن عباد بن العباس (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ = ٩٣٨ - ٩٩٥ م) أبو القاسم الطالقاني وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديراً وجوداً رأي، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه. ولد في الطالقان، وتوفي بالرّي ونقل إلى أصفهان فدفن فيها. له تصانيف منها «المحيط» و«الوزراء» و«الكشف عن مساوي شعر المتنبّي» وله شعر في ديوان.
- الأعلام ١/٣١٦، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٧٣ - ٣٤٣، ومعاهد التنصيص ٤/ ١١١، وابن خلكان ١/ ٧٥، و«يتيمة الدهر» ٣/ ٢٢٥.
- (٨) البيتان في يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.

قام السعادة^(١) وكان الخوف أقعدهم واستيقظوا بعد أن نام الملاعين^(٢)
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمانُ فانحلَّ^(٣) الشياطينُ

فصل

في ذكر عيسى عليه السلام

من أحسن ما قيل في قصد مقصود وترك خير منه قول الطبري:
وما كنتُ في تركيك إلا كتاركٍ طهوراً وراضٍ بعده بالتيمم
وذي علةٍ يأتي عليلًا ليشتفي به وهو جازٌ للمسيح بن مريم
ومن أحسن ما قيل في الحركة والطلب قول بعضهم:
توكل على الرحمن في طلب العلاء ودغ عنك قول الناس في تركك الطلب
ألم تر أن اللة قال لمريم وهزي إليك الجزع يساقط الرطب^(٤)
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب
من أحسن ما قيل في هجو الدعي قول صاحب^(٥):
رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى يقصّر عنه فضل عيسى بن مريم
عزوه إلى تسع وتسعين والبدأ وليس لعيسى والد حين ينتمي

فصل

في ذكر النبي المصطفى محمد ﷺ

أحسن ما قيل في ارتفاع الأب بابنه قول ابن الرومي:
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

(١) في يتيمة الدهر ٣/٣٢٩: السعادة.

(٢) رواية الشطر الثاني في يتيمة الدهر ٣/٣٢٩: - فاستيقظوا بعدما مت الملاعين.

(٣) في يتيمة الدهر ٣/٣٢٩: وانحل.

(٤) في البيت إشارة إلى سورة مريم الآية (٢٥): ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِمِجْنِ الْأَخْلَافِ شَوَّطَ عَلَيْكَ رَطْبًا حِينًا﴾.

(٥) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣١٧ وهما من الطويل.

الباب الثالث

في الملوكيات

من أحسن ما قيل في أمثال الملوك قول ابن نباتة^(١) لصمصام الدولة في ملك من ملوك آل بويه^(٢):

أحسد قوماً عليك قد غلبوا وكل من نادر الثرى غلباً^(٣)
وكنت كالكرز من تكرمته تلتفت^(٤) أوراقه بما قربا
ومن أحسن ذلك قول إبراهيم بن العباس:
مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا^(٥) جبلاً ثم وقعوا منه
فكان أبعدهم في الرقي أقربهم من التلف.

وقال مؤلف الكتاب: ينبغي أن يكون الملك كالغيث^(٦) يحيي إذا همى^(٧)،
والسيل يردي إذا طمى^(٨)، والبدر يهدي إذا سما، والدهر يعمي إذا رمى.
ومن أحسن ما قيل في الانزعاج من غضب الملوك قول النابغة^(٩)^(١٠):

- (١) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نبأة التميمي السعدي (٣٢٧ - ٤٠٥ هـ = ٩٣٨ - ١٠١٥ م) أبو نصر، من شعراء سيف الدولة بن حمدان، طاف البلاد، ومدح الملوك، واتصل بابن العميد ومدحه، معظم شعره جيد. توفي ببغداد، له «ديوان شعر».
- (٢) الأعلام ٤/ ٢٣ - ٢٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٩٥، ومفتاح السعادة ١/ ١٩٨، وسماء: عبد العزيز بن محمد، كما في يتيمة الدهر ٢/ ٤٤٧.
- (٣) البيتان في يتيمة الدهر ٢/ ٤٦٥ وهما من المنسرح.
- (٤) رواية الشطر الثاني في يتيمة الدهر ٢/ ٤٦٥: - وكل من بادر المنى غلباً.
- (٥) في يتيمة الدهر ٢/ ٤٦٥: تلتفت.
- (٦) رقي الجبل والسلم ونحوه: علاه وصعده.
- (٧) الغيث: المطر.
- (٨) همى الماء والدمع ونحوهما: سال.
- (٩) طما الماء: ارتفع وملأ النهر.
- (١٠) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري (توفي نحو ١٨٠ هـ = نحو ٦٠٤ م) أبو أمامة، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فنقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. كان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة زوجة النعمان فغضب النعمان، ففر النابغة وغاب زمناً حتى رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير جمع بعضه في «ديوان».
- (١١) الأعلام ٣/ ٥٤ - ٥٥، وشرح شواهد المغني ٢٩ والأغاني ١١/ ٥، والشعر والشعراء ص ٨٣، وجمهرة ٢٦ و ٥٢.
- (١٢) البيت في الأغاني ١١/ ٣٩، وفي الشعر والشعراء ص ٩٠.

نُبْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ^(١)
 ومن أحسن الأشعار الملوكية قول سلم بن عمرو^(٢) في الرشيد:
 ملكٌ كأنَّ الشمسَ فوقَ جبينه متهلِّلُ الإمساءِ والإصباحِ
 فإذا حلَّتْ ببابه وفنائِه فانزل بسعدٍ وارتحل بنجاحِ
 وقول مُسلم بن الوليد^(٣) في الرشيد أيضاً:
 بأبي وأمي أنت ما أندى يدا وأبرَ ميثاقاً وما أزكاكا
 يغدو عدوك خائفاً فإذا رأى إن قدرت على العقابِ رجاكا

الباب الرابع

في الإخوانيات

من أحسن أبي تمام^(٤) قوله في مخالطة الإخوان:
 ذو الودِّ مني وذو القُربى بمنزلةٍ وإخوتي أسوءُ عندي فإخواني^(٥)
 عصابةٌ جاورت آدابهم أدبي فهم وإن فرقوا في الأرضِ جيرانِي
 أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدن أبداننا بشامٍ أو خراسان^(٦)

(١) زار الأسد: صاح من صدره.

(٢) هو سلم بن عمرو بن حماد (توفي ١٨٦هـ = ٨٠٢م) شاعر خليج، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي. سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية وشعره رقيق رصين، قيل: سمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بشمه طنبوراً.
 الأعلام ٣/ ١١٠-١١١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٠ واسمه فيه سالم، وتاريخ بغداد ٩/ ١٣٦، ومعجم الأدباء ٣/ ٣٨٨.

(٣) هو مسلم بن الوليد الأنصاري (توفي ٢٠٨هـ = ٨٢٣م) بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل، وهو أول من أكثر «البديع» وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان فاستمر إلى أن مات فيها.
 الأعلام ٧/ ٢٢٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٨٦، وسمط اللآلي ٤٢٧، والشعر والشعراء ص ٥٦٤، والأغاني ٣٦/ ١٩.

(٤) أبو تمام (توفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام، الشاعر الأديب أحد أمراء البيان. استقدمه المعتصم إلى بغداد وأجازه فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل اختلف في التفضيل بينه وبين المتنبى والبحتري. له تصانيف.

الأعلام ٢/ ١٦٥، والأغاني ١٩/ ٣٦، ١٦/ ٤١٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١١.

(٥) الأسوة: القدوة أو ما يُتَعَزَّى به (ج) الأسأ، والإسأ.

(٦) خراسان: بلاد قديمة في آسيا، وهي مؤلفة من (خور) بمعنى شمس و(أسان) بمعنى مشرق اشتهر منها

وأحسن منه قول عبد الله بن طاهر^(١) :

أَمِيلُ مع الذمَامِ على رَعَمِي وأَقْضِي للصديقِ على الشقيقِ^(٢)
وَإِن أَلْفَيْتَنِي ملكاً مطاعاً فَإِنَّكَ واجدي عبد الصديقِ
وَمَن أَحْسَنَ ما قِيلَ في قبولِ عذرِ الإخوانِ قولِ ابنِ نباتة^(٣) :

وَكُنْتُ إِذَا ما حَاجَـةٌ حَالَ دُونَهَا نَهَارٌ وَلَيْلٌ لَيْسَ يَعْتَذِرَانِ
تَحَمَّلْتُ في حُكْمِ القِضَاءِ مَلَامَهَا^(٤) وَلَمْ أَلْزَمْ الإخوانِ ذَنْبَ زَمَانِي
وَمَن أَحْسَنَ ما قِيلَ في مدحِ الإخوانِ قولِ زيادِ الأعجم^(٥) :

أَخْ لِي ما أَرَاةَ الدَّهْرِ إِلَّا على العَلَلِ بِسَـأَمٍ جَوَادِ
سَأَلْنَاهُ الجَزِيلَ فما تَلَكَّى وَأَعْطَى فَوْقَ مَنِيَّتِنَا وَزَادَا^(٦)
وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُذْنَا فَأَحْسَنَ ثُمَّ عَاودَنَا فَعَادَا
مَرَاراً ما أَعُودَ إِلَيْهِ إِلَّا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً وَثْنَا الوَسَادَا^(٧)

= نيسابور وهراة وبلخ ومرو. غزاها الضحاك ٦٥٦م، وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين ٧٤٨م الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية. (الرسالة القشيرية ص ١٤٣).

(١) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء (١٨٢ - ٢٣٠هـ = ٧٩٨ - ٨٤٤م) أبو العباس، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من «بادغيس» بخراسان ولي إمرة الشام مدة، ونقل إلى مصر فأقام سنة ثم إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو.

الأعلام ٩٣/٤، ووفيات الأعيان ٨٣/٣، والأغانى ١٢/١٢١، وتاريخ بغداد ٩/٤٨٣، وابن الأثير ٧/٥، والطبري ١١/١٣.

(٢) الذمَام: العهد والأمان والكفالة والحق والخُرمَة (ج) أدْثَة.

(٣) البيتان في يتيمة الدهر ٢/٤٦٤ وهما من الطويل.

(٤) رواية الشطر الأول في يتيمة الدهر ٢/٤٦٤ : - حملت على حكم القضاء ملامها.

(٥) هو زياد بن سليمان - أو سليم - الأعجم، أبو أمانة العبدي (توفي نحو ١٠٠هـ = نحو ٧١٨م) مولى بني عبد القيس، من شعراء الدولة الأموية. جزل الشعر، فصيح الألفاظ. كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان، فسكنها طوال عمره، ومات فيها. عاصر المهلب ابن أبي صفرة وله فيه مدائح ومراث، وكان هجاءاً.

الأعلام ٣/٥٤، والأغانى ١٣/٩٣، وإرشاد الأريب ٤/٢٢١، وهو فيه زياد بن سلمى، وكذا في الشعر والشعراء ص ٢٧٩، ومثله في خزانة الأدب للبغدادى ٤/١٩٣.

(٦) تلكي من تلكاً، تلكاً عن الأمر وفيه: تباطأ وتوقّف.

(٧) ثنى الشيء: طواه ورّد بعضه على بعض.

وقول منصور الفقيه^(١):

أخ لي عنده أدب مودة مثله نسب
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجب
فلو سبكت خلائقه لبهرج عندها الذهب^(٢)

وقول أبي الفتح البستي المؤلف لهذا الكتاب:

بنفسي أخ نفسه أمة وتدبيره في الوغى فيلق^(٣)
أخ باب إحسانه مطلق وباب إساءته مغلق
كريم السجايا فلا رأيه بهيم ولا خلقه أبلق^(٤)
محمد أنت قوى ناظري فكيف إذا غبت لا أقلى
رهنك قلبي وحكم القلو ب إذا رهننت أنها تغلق

ومن أحسن ما قيل في شكايه الإخوان قول بعضهم:

من رأى في الأنام مثل أخ لي كأن عوني على الزمان وخلي
رفعته حالاً فحاول خطي وأبى أن يُعز إلاً بذلي
وقوله أيضاً:

وكنت أخي إزاء الزمان فلما نبا صرت حرب عوانا^(٥)
وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائباتها فها أنت أطلب منك الأمانا^(٦)

ومن أحسن ما قيل في عتاب الملول قول الساشي:

إذا أنا عاتبك الملوك فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم يكن تودده طبعاً فصار تكلفاً^(٧)

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٨٩/٥.

(٢) البهزج: الباطل أو الزائف من الدراهم.

(٣) الوغى: الحرب. القيلق: الكتيبة العظيمة من الجيش (ج) فيالق.

(٤) السجايا: (ج) السجبة: الخلق والغريزة والطبيعة.

البهيم: من الليل ما لا ضوء فيه إلى الصباح. بلق الفرس ونحوه: كان في لونه سواد وبياض.

(٥) نبا الشيء: لم يستو في مكانه المناسب له. حرب عوان: أي: شديدة قوتل فيها مرة بعد مرة (ج) عون.

(٦) النائبات: النازلات أو المصائب.

(٧) ارعوى عن القبيح والجهل ارعواء: كف عنه ورجع فهو مُرْعَوٍ. تكلف الأمر: تحمله على مشقة أو على خلاف عادته.

ومن أحسن ما قيل في وجوب العتاب قول ابن الرومي:

يا أخي أين ريع ذاك الإخاء أين ما كان بيننا من صفاء^(١)
أنت عيني وليس من حق عيني غص أجفانها على الأقداء^(٢)

ومن أحسن ما قيل في العتاب على الحجاب قول ابن عيينة:

إني أتيتك للسلام ولم أنقل إليك لغيره رحلي
فحجبت دونك مرتين وقد تشتد واحدة على مثلي
ومما يستظرف في معنى الحجاب وذم البواب قول بعضهم:

ولقد رأيت بباب دارك جفوة فيها لحسن صنيعكم تكدير
ما بال دارك حين تدخل جئة وبباب دارك منكرو ونكير^(٣)
وأحسن ما قيل في العتاب:

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه إن القطيعة موطئ للريب^(٤)
إن كان ذلك في الطوية كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيب^(٥)
أحسن ما قيل في ترك العتاب:

أقلل عتاب من استربت بودو ليست ثنال مودة بقتال
أحسن ما قيل في ذم الإخوان وذم الاستكثار منهم قول العطوفي:
لم أجد كثرة الأخلاء إلا تعب النفس في قضاء الحقوق
فاصرف الودع عن كثير من النا س فما كل ما ترى بصديقي
وقول ابن الرومي:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الضحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

(١) الزيع من كل شيء: أوله وأفضله.

(٢) الأقداء: (ج) القذئ: ما يتكون في العين من رمص وغمص وغيرهما. أو ما يقع في العين وفي الشراب من تبنه وغيرها.

(٣) المنكر: كل ما تخكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه. والنيكر: الإنكار أو العقوبة الرادعة، وتغير القبيح ومواخذة فاعله.

(٤) القطيعة: الهجران والصد.

الدأب: العادة والشأن والملازمة.

الريب: الظن والشك والتهمة.

(٥) الطوية: الضمير ينطوي عليه الإنسان.

ومن أظرف ما قيل في هذا الفصل قول بعضهم:

ألا إن إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمالٍ لا تقصر في لسعي^(١)
ظننتُ بهم خيراً فلما بلوتهم حلت بواذٍ منهم غير ذي زرع^(٢)

ومن أحسن ما قيل في الشوق والفراق قول ابن عينة:

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالروح في غربة والجسم في الوطن
يتعجب الناس مني أن لي بدنأ لا روح فيه ولا روح بلا بدن
وقول كشاجم^(٣):

قلتُ وقالوا بأن إخوانه قد أبدلوه البعد بالقرب
والله ما شطت نوى صاحب سار من العين إلى القلب^(٤)
ومن أحسن أبي تمام قوله في افتراق الشمل^(٥):

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني^(٦)
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه لي أقصى خراسان
ومما لا يزيد على حسنه قول بعض المولدين^(٧):

خطراتُ ذكرك تستبين مودتي فأحسن منها في الفؤاد ديباً
لا عضولي إلا وفيه صباة فكأن أعضائي خلقت قلوباً^(٨)

(١) لسمته العقب: ضربته بضمها. وفلاناً بلسانه: أذاه، وعابه بالكلام.

(٢) بلوت الرجل: اختبرته وجربته وامتحنته.

(٣) هو محمود بن الحسين (أو ابن محمد بن الحسين) ابن السندي بن شاهك (توفي ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) أبو الفتح الرملي، المعروف بكشاجم، شاعر متفنن، أديب، من كتاب الإنشاء. من أهل «الرملة» بفلسطين. فارسي الأصل، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد وزار مصر أكثر من مرة، واستقر بحلب، فكان من شعراء أبي الهيثم عبد الله (والد سيف الدولة) بن حمدان، ثم ابنه سيف الدولة. له «ديوان شعر» و«أدب النديم» و«المصايد والمطاردة» و«الرسائل» و«خصائص الطرب» و«الطبيخ»، وتعلم الطب فزيد في لقبه طاء، فقليل: طكشاجم. الأعلام ٧/ ١٦٧-١٦٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧.

(٤) شطت داره: بَعُدَتْ وأفرطت في البعد.

(٥) الشمل: الاجتماع.

(٦) الرقمتان: قرنتان بين البصرة والنجاف بعد ماوية تلقاء البصرة وبعد حفر أبي موسى تلقاء النجاف، وهما على شفير الوادي. (معجم البلدان ٣/ ٥٨).

(٧) المولدون من الشعراء: من جازوا بعد عصر الاحتجاج، أو اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية.

(٨) الصباة: الشوق. أو رفته وحرارته.

ومن أحسن ما قيل في العيد عند مفارقة الإخوان قول أبي الفرج الشامي^(١) :
 مَنْ سَرَّهُ العيد فلا سَرَّنِي بَلْ زَادَ فِي شَوْقِي وَأَحْزَانِي
 لِأَنَّهُ ذَكَّرَنِي مَا مَضَى مِنْ عَهْدِ أَحِبَابِي وَإِخْوَانِي
 ومما يستظرف في تشوق الإخوان قول ابن طباطبا العلوي :

نَفْسِي الْفِدَاءَ لَغَائِبٍ عَنْ نَاطِرِي وَمَحَلَّهُ فِي الْقَلْبِ دُونَ حِجَابِهِ
 لَوْلَا تَمَتَّعَ نَاطِرِي بِلِقَائِهِ لَوَهْبَتُهُ لِمَبْشَرِي بِإِيَابِهِ
 وكتب أبو الفتح البستي لمؤلف الكتاب^(٢) :

إِذَا نَسِيَ النَّاسُ أَهْلَ الْوُدَا دَخَانَ الْمَوَدَّةَ خَوَائِهَا^(٣)
 فَعِنْدِي لِإِخْوَانِي الْغَائِبِ مِنْ صَحَائِفِ ذِكْرِكَ عَنَائِهَا
 ومن أحسن إخوانياته قوله :

بِأَبِي إِخْوَةٌ تَرَحَّلْتَ عَنْهُمْ فَتَرَحَّلْتُ عَنْ سُرُورِي وَأَنْسِي
 فَارْقُونِي-فَارْقُونِي وَأَذْكُوا شَعْلَةَ الْوَجْدِ فِي خَوَاطِرِ نَفْسِي
 ومن أحسن ما قيل في الزيارة والاستزارة قول العباس بن الأحنف^(٤) :

نَزُورُكُمْ لَا نَكَافِيكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ إِنَّ الْمَحَبَّ إِذَا لَمْ يَسْتَرْزُ زَارَا
 يَقْرُبُ الشُّوقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مَنْ عَالَجَ الشُّوقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا^(٥)
 من أحسن ما قيل في إعلال الزيارة قول ابن المقر :

لَيْتَ شَعْرِي أَفِي الْمَنَامِ أَرَاهُ قَمَرًا زَارَنِي عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ

(١) هو محمد بن أحمد الغساني الدمشقي (توفي نحو ٣٨٥هـ = نحو ٩٩٥م) أبو الفرج المعروف بالوأواء، شاعر مطبوع، حلو الألفاظ. في معانيه رقة، كان في مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق. له ديوان شعر. الأعلام ٣١٢/٥، وبيته الدهر ٣٣٤/١.

(٢) البيتان في بيته الدهر ٣٦٦/٤ وهما من المتقارب.

(٣) رواية البيت في بيته الدهر ٣٦٦/٤.

(٤) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي، اليمامي (توفي ١٩٢هـ = ٨٠٨م) أبو الفضل، شاعر غزل رقيق، أصله من اليمامة، وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه. ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها، وقيل بالبصرة. له ديوان شعر.

الأعلام ٢٥٩/٣ والأغاني ٣٦٦/٨، والشعر والشعراء ص ٥٦٠، والوفيات ٢٠/٣، ومعجم الأدباء ٣/٤٣٩.

(٥) النازح: بلد نازح: بعيد. العاليج: ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.

صارَ ترب الطريق مسكاً وكافو رَأ حِصاها وماؤها ماءً ورد^(١)
ومن أحسن ما قيل فيه أيضاً:

خليلي هل أبصرْتُما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشي إلى عبد
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي: أصونك من تعليق قلبك بالوعد

ومن أحسن ما قيل في خفة الزيارة قول كشاجم:
بأبي وأمي زائر متقنع لم يخف ضوء البدر تحت قناعه
لم أستتم عناقه لقدومه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

ومن أحسن ما سمعت في زيارة المحب قول بعضهم:
أرى الرجل قد تسعى إلى من تحبه وما الرجل إلا حيث يسعى بها القلبُ

وأحسن ما قيل في إقلال الزيارة:
عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فلاني رأيت القطر يسأم دائماً ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

وفي ترك الزيارة مع المودة قول بعضهم:
إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوبُ

ومن أحسن ما قيل في منع المطر الزيارة قول أبي حفص:
حكث السماء ندى يدي لك فلم أطق سعيّاً إليك
وحكيته يا سيدي بالدمع من أسفي عليك

وقول أبي العسقلاني:
حال بيني وبين بابك حالاً ذو حول وقرب عهد عهد^(٢)
فكأنّ الوحول ليل محب وكأنّ السماء كف جواد

-
- (١) المسك: ضرب من الطيب، وهو مادة دهنية عطرة سمراء اللون يفرزها أيل المسك. (ج) مسك. الكافور: شجر كبير من الفصيلة الغارية، ينبت في الهند والصين. تتخذ منه مادة عطرية بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض تستعمل في الطب، وهو أصناف كثيرة (ج) كوافير. الورد: نبات شائك من الفصيلة الوردية، يُزرع لزهرة، وهو أنواع وأصناف. وزهره ذو أشكال وألوان مختلفة. منه ما هو ذو رائحة عطرة كالورد البلدي أو الدمشقي الذي يستقطر منه ماء يُعرف بماء الورد، ودهن يُسمى عطر الورد، ومنه ما لا رائحة له ويتخذ للزينة (ج) وُرد، ووراد وورود.
- (٢) الجهاد: مواقع الوسمي من الأرض. (لسان العرب ٣/ ٣١٤ مادة: عهد).

وفي اتصال الندي قول الحسن بن وهب^(١):

يوجب العذر في تراخي اللقاء ما توالى من هذه الأنداء
فسلامُ الإله أهديه مني كل يوم لسيد الوزراء
لست أدري ماذا أذم وأشكو من سماء تعوقني من سماء
غير أنني أدعو على تلك بالصحة و أدعو لهذه بالبقاء
من أظرف ما قيل في الاستزارة قول أبي الفتح البستي^(٢):

عندي فديتك سادة أحرار وقلوبهم شوقاً إليك حرار
وشرابنا شرب العلوم، وروضنا نزه الحديث ونقلنا^(٣) الأشعار
فامنن علينا بالبدار، فإنما أعمار أوقات السرور قصار^(٤)
وقوله أيضاً^(٥):

لقاؤك يدني لي^(٦) المرتجى ويفتح باب الهوى المرتج^(٧)
فأسرع إلينا ولا تبطنن فإننا صيام إلى أن تجي

الباب الخامس

في الأدبيات

من أحسن ما قيل في القلم قول أبي الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتّاب فخراً ورفعة مدئ الدهر إن الله أقسم بالقلم^(٨)

(١) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي (توفي نحو ٢٥٠ هـ = نحو ٨٦٥ م) أبو علي. كاتب، من الشعراء. كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار. وكان وجيهاً، استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام، وهو أخو سليمان (وزير المعتمد والمهتدي) ولما مات رثاه البحتري. الأعلام ٢/ ٢٢٦، وفوات الوفيات ١/ ١٣٦، وسمط اللآلي ٥٠٦، والأغاني ١٣/ ١٠٢.

(٢) الأبيات في يتيمة الدهر ٤/ ٣٦٦-٣٦٧ وهي من الكامل.

(٣) في يتيمة الدهر ٤/ ٣٦٦: وثقلنا.

(٤) البدار: أكياس توضع فيها الدراهم.

(٥) البيتان في يتيمة الدهر ٤/ ٣٦٦ وهما من المتقارب.

(٦) في يتيمة الدهر ٤/ ٣٦٦: من.

(٧) المرتج: المقفل.

(٨) في البيت إشارة إلى سورة القلم [الآية: ١]: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

وقول الآخر:

وأخرس ينطق بالمحكمات وجثمانه صامت أجوف
 بمكة ينطق في خفية وبالصين منطقة يعرف^(١)
 ولم أسمع في حسن الخط أحسن من قول أبي إسحاق^{(٢)(٣)}:
 وكن من يد بيضاء حازت جمالها يد لك لا تسود إلا من النفس^(٤)
 إذا رقت بيض الصحائف خلتها^(٥) تطرّز بالظلماء أودية الشمس
 وقوله أيضاً في المهلب^(٦) الوزير:
 وإذا استنطق الأنامل جاءت ببيان كالجواهر المنضود^(٧)
 في سطور كأنها نشرت يمنا ة منها عصائب من برود^(٨)
 فقر لم يزل فقير إليها كل مبدي بلاغة ومعيد^(٩)
 ببيان شافٍ ولفظ مصيب واختصار كاف ومعنى سديد

(١) مكة المكرمة: مدينة في المملكة العربية السعودية. أحد الحرمين. كانت في الجاهلية محطة هامة لتجارة القوافل بين اليمن والشام وفيها الكعبة المعظمة. وغدت في الإسلام مركز الحج وقبلة المصلين. (الرسالة القشيرية ص ١٤١).

(٢) هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحراني (٣١٣ - ٣٨٤هـ = ٩٢٥ - ٩٩٤م) أبو إسحاق الصابي. نابغة كتاب جيله، كان أسلافه يعرفون بصناعة الطب، ومال هو إلى الأدب فتقلد دواوين الرسائل والمظالم والمعاون تقليداً سلطانياً في أيام المطيع لله العباسي، ثم قلده معز الدولة الديلمي ديوان رسائله سنة ٣٤٩هـ فخدمه وخدم بعده ابنه عز الدولة، فكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة بما يؤلمه فحقد عليه، ولما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد قبض على الصابيء وسجنه وأمر بأخذ أمواله، ولما ولي صمصام الدولة أطلقه، وكان صلياً في دين الصابئة. الأعلام ٧٨/١، وبيمة الدهر ٢/٢٧٨، وابن خلكان ١/١٢، والنجوم الزاهرة ٣/٣٢٤.

(٣) البيتان في بيمة الدهر ٢/٣٢٣ وهما من الطويل.

(٤) النفس: الحبر.

(٥) رقت: زينت وكتبت.

(٦) هو الحسن بن محمد بن عبدالله بن هارون (٢٩١ - ٣٥٢هـ = ٩٠٣ - ٩٦٣م) أبو محمد، من كبار الوزراء الأدباء الشعراء. اتصل بمعز الدولة بن بويه، فكان كاتباً في ديوانه، لم استوزره، وكانت الخلافة للمطيع العباسي، فقربه المطيع، وخلع عليه، ثم لقبه بالوزارة، فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان، ولقب بذوي الوزيرين، وله شعر رقيق، مع فصاحة بالفارسية وعلم برسوم الوزارة. ولد بالبصرة، وتوفي في طريق واسط وحمل إلى بغداد. الأعلام ٢/٢١٣، والوفيات ٢/١٢٤، وبيمة الدهر ٢/٢٦٥، ومعجم الأدباء ٣/٦٠.

(٧) نضد المتاع: ضمّ بعضه إلى بعض متسقاً، أو جعل بعضه على بعض، فهو ناخذ والشيء منضود.

(٨) العصائب: (ج) العصابة: ما عُصِبَ به على الجروح والكسور.

(٩) الفقر: (ج) الفقرة: جزء من موضوع نصّ.

وقوله أيضاً^(١):

لَهُ يَدٌ بَرَعَتْ جُوداً بَنَائِلَهَا
فَحَاتَمٌ كَامِنٌ فِي بَطْنِ رَاحَتِهَا^(٣)
وَمِنْ مَلَحِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي^(٥):

بِنَفْسِي مِنْ أَهْدَى إِلَيَّ كِتَابَهُ
كِتَابَ مَعَانِيهِ خِلَالَ سَطْوَرِهِ
وَقَوْلُهُ أَيْضاً^(٦):

كِتَابَكَ سَيِّدِي أَجْلَى^(٧) هُمُومِي
كِتَابٌ فِي سَرَائِرِهِ سُرُورٌ
فَكَمْ مَعْنَى بَدِيعِ دَرَجٍ لَفْظٍ
كَرَاحٍ فِي زَجَاجٍ بَلْ كَرُوحٍ
وَقَوْلُهُ أَيْضاً^(١١):

لَمَّا أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أَسْطَرِهِ
وَمِنْ أَحَاسَنِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الْكَلَامِ الْحَسَنِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيِّ:

(١) البیتان فی وفیات الأعیان ١٢٦/٢.

(٢) الطُّرْس: الصَّحِيفَةُ (ج) طُرُوسٌ وَأَطْرَاسٌ.

(٣) فی وفیات الأعیان ١٢٦/٢: رَاحَتُهُ.

(٤) حَاتِمٌ: هُوَ حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي الْقَحْطَانِي (توفي ٤٦٦ هـ = ٥٧٨ م) أَبُو عَدِيٍّ، فَارِسٌ، شَاعِرٌ، جَوَادٌ، جَاهِلِيٌّ. يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِجُودِهِ. (الأعلام ١٥١/٢).

سَحْبَانٌ: هُوَ سَحْبَانُ بْنُ زُفَرٍ بْنِ إِيَّاسِ الْوَاهِلِيِّ (توفي ٥٤ هـ = ٦٧٤ م) خَطِيبٌ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَيَانِ. اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام. (الأعلام ٧٩/٣).

(٥) البیتان فی یتیمۃ الدھر ٣٥٣/٤ وهما من الطویل.

(٦) الأبیات فی یتیمۃ الدھر ٣٥٣/٤ وهي من الوافر.

(٧) فی یتیمۃ الدھر ٣٥٣/٤: جَلَى.

(٨) جَلَى هُمُومِي: أَذْهَبَهَا، وَجَلَّ اغْتَبَاطِي أَيِ ازْدَادَ وَكَثُرَ.

(٩) رِوَايَةُ الْبَيْتِ فِي یتیمۃ الدھر ٣٥٣/٤:

- فَكَمْ مَعْنَى لَطِيفٍ ضَمَّنَ لَفْظٍ - هُنَاكَ تَزَاوُجاً أَيِ ازْدَوَاجٍ

(١٠) الرِّزَّاحُ: الْخَمَرُ.

(١١) البیتان فی یتیمۃ الدھر ٣٥٣/٤ وهما من البسيط.

إذا ارتجل الكلام بدا خليج يقيه بمذه بحر الكلام^(١)
كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حب الغمام^(٢)
وقول أبي إسحاق للمهلبى الوزير^(٣) :
لك في المحافل منطق يشفي الجوى ويسوغ في أذن الأديب سلافة^(٤)
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل وكأنما أذاننا أصدافه^(٥)
وقول مؤلف الكتاب للأمير أبي الفضل المكيالى^{(٦)(٧)} :

سبحان ربي تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعسل
والدُرّ والسحر والرقى وابنة الـ كرم وجلّي اللسان والحلّ^(٨)
مثل كلام الأمير سيّدنا نظماً ونشراً يسير كالمثل
وقوله للمؤلف^(٩) :

إنني أرى ألفاظك الغرّاء عطّلت الياقوت والدرّاء
لك الكلام الحرّ يا من غدث أفعاله تستعبد الحرّاء^(١٠)

- (١) ارتجل الكلام: تكلم به من غير أن يُهيّئه، أو ابتدعه بلا رويّة. المذ: ارتفاع ماء البحر على الشاطئ (ضد الجزر).
- (٢) الياقوت: حجر من الأحجار الكريمة، صلب ثقيل شفاف مشرب بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة (ج) يواقيت. حبّ الغمام: البرّد.
- (٣) البيتان في يتيمة الدهر ٣٢٣/٢ وهما من الكامل.
- (٤) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن.
- السلّاف والسّلافة: الخمر أول ما تُعصر، وما سال وتحلّب من عصير العنب قبل العصر، وأخلص الخمر وأفضلها.
- (٥) انتخل الشيء وتنخله: اختار أجوده.
- الأصداف: (ج) الصدف: صدف الدرة: غشاؤها، وهو غلاف يابس متصلب يغطي اللؤلؤ.
- (٦) هو عبيدالله بن أحمد بن علي الميكالي (توفي ٤٣٦هـ = ١٠٤٥م) أبو الفضل، أمير، من الكتاب الشعراء من أهل خراسان، له من المؤلفات «مخزون البلاغة» و«المنتحل» و«ملح الخواطر ومنح الجواهر» و«ديوان شعره» وغير ذلك. الأعلام ١٩١/٤، وكشف الظنون ١٦٣٩ و١٨١٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥-٢٧، ويتيمة الدهر ٤/٤٠٧.
- (٧) الأبيات في يتيمة الدهر ٤/٤٠٩ وهي من المنسرح.
- (٨) رواية البيت في يتيمة الدهر ٤/٤٠٩:
- والمسك والسحر والرقى وابنة الـ كرم وجلّي الحسان والحلل
الرقى: (ج) الرقية: كلام يطلب به شفاء المريض ونحوه. بنت الكرم: الخمر.
- (٩) البيتان في يتيمة الدهر ٤/٤٠٩ وهما من السريع.
- (١٠) رواية البيت في يتيمة الدهر ٤/٤٠٩:
- لك الكلام الحرّ يا من غدا معروفه يستعبد الحرّاء

وأبداع ما قيل في ذم القلم قول ابن المعتز:

وأجوف مشقوق كأَنَّ سنانَه إذا استعجلته الكف منقار لاقط^(١)
وتاه به يوم فقلتُ رويدكم فما كاتبٌ بالكف إلا كشارط
وأحسن ما قيل في ذم الكتاب:

تعمس الزمانَ فقد أتى بعجابٍ ومحا رسوم الظرف والآداب
وأتى بكتابٍ لو انطلقت يدي فيهم رددتهم إلى الكتابِ
وقول بعض كتاب بخارا^(٢):

وكاتبٌ كتبه تذكّرني الـ قرآن حتى أظل في عجبٍ
فاللفظ قالوا قلوبنا غلف والخط تبّت يدا أبي لهب^(٣)
ومن أحسن ما قيل في مدح الشعر قول أبي تمام:

إنَّ القوافي والمساعي لم تزلْ مثل النظام إذا يكون فريداً^(٤)
هي جوهر نثر فإن ألفتَه بالشعر صارَ قلائداً وعقوداً^(٥)
من أحسن ما قيل في وصف الشاعر شعره قول بعضهم:

شغلتك عن حسن السماع مدائحٌ حسنت فما تنفك تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجمٌ منهنّ يخجلن النجوم طوالعا
جاءتك مثل بدائع الوشي^(٦) الذي ما زال في صنعاء يتعب صانعا^(٧)
أو كالربيع يُريك أخضر ناضراً ومورداً شرقاً وأصفر فاقعا
وأحسن ما قيل في شرف الشاعر:

(١) اللاقط: الذي يلقط السنابل بعد حصد الزرع.

(٢) بخارى: مدينة في أوزبكستان (الاتحاد السوفياتي)، على ملتقى الطرق بين روسيا وإيران والهند والصين. (الرسالة القشيرية ٤٠٦).

وبخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يُعبر إليها من آفل الشط، بينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية. (معجم البلدان ١/٣٥٣).

(٣) في البيت إشارة إلى سورة المسد [الآية: ١]: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾.

(٤) القوافي: (ج) القافية: في الشعر: آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، ويكون كلمة أو بعض كلمة.

(٥) قلائد الشعر: الأبيات التي لا تزال محفوظة باقية لا تُنسى لنفاستها.

(٦) الوشي: نقش الثوب، ويكون من كل لون.

(٧) صنعاء: من عواصم اليمن. منها يصدرون البن. (الرسالة القشيرية ص ٢٥٣).

إِنَّ أَكْنَ مَهْدِيَا لَكَ الشَّعْرَ أَنَا لَأَنَاسٍ تَهْدِي لَنَا الْأَشْعَارُ
 غَيْرَ إِنِّي أَرَاكُمْ أَهْلَ بَيْتٍ مَا عَلَى الْمَرْءِ إِنْ تَسُودُوهُ عَارُ
 وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَمِّ الشَّاعِرِ:
 أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ تَبْرُزُ لَنَا سِ وَكَلْتَاهُمَا بِوَجْهِ مَذَالِ
 لَسْتَ تَنْفَكَ طَالِباً لَوْصَالِ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِباً لِسُؤَالِ
 وَقَوْلُ أَبِي عَثْمَانَ الْخَالِدِيِّ^(١) (٢):
 شَعْرَ عَبْدِ السَّلَامِ فِيهِ رَدِيءٌ وَمَحَالٌ وَسَاقِطٌ وَيَدِيعُ
 فَهُوَ مِثْلُ الزَّمَانِ إِذْ فِيهِ مَصِيفٌ^(٣) وَخَرِيفٌ وَشَتْوَةٌ وَرَبِيعُ
 وَلِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْجَرَجَانِيِّ فِي الْأَسَازِ الطَّبْرِيِّ:
 لَوْ نُفَضَّتْ أَشْعَارُهُ نَفْضَةً لَانْتَشَرَتْ تَطْلُبُ أَصْحَابَهَا

الباب السادس

في الخمریات

مِنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْأَسْتَظْهَارِ عَلَى الزَّمَانِ وَدَفْعِ الْهَمُومِ بِالرَّاحِ قَوْلُ الْمَأْمُونِ:
 أَمَا تَرَى الدَّهْرَ مَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَالدَّهْرُ يَخْلُطُ مَيْسُوراً بِمَعْسُورِ
 وَلَيْسَ لِلْهَمِّ إِلَّا كُلُّ صَافِيَةٍ كَأَنَّهَا دَمْعَةٌ مِنْ عَيْنٍ مَهْجُورِ
 قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ:
 سَلَّطَ عَلَى الْأَحْزَانِ بَنْتَ الدَّنَانِ وَارْحَلَ إِلَى السَّكْرِ بَرَطْلَ وَثَانٍ^(٤)
 وَهَاتَهَا بَنْتُ يَهُودِيَةٍ سَحَارَةٌ تَحْكُمُ عَقْدَ اللِّسَانِ

(١) هو سعيد بن هاشم بن وعل بن غرام، من بني عبد القيس (توفي ٣٧١هـ = ٩٨١م) أبو عثمان الخالدي، شاعر، أديب، اشتهر هو وأخوه «محمد» بالخالدين، وكانا آية في الحفظ والبديهة يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم. له «ديوان شعر». وقد اشتركا في تصنيف كتب منها «الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين» و«أخبار الموصول» و«اختيار شعر البحري» و«اختيار شعر مسلم بن الوليد» وغير ذلك.

الأعلام ٣/ ١٠٣، وفوات الوفيات ١/ ١٧٠، و«يتيمة الدهر» ٢/ ٢١٤، ومعجم الأدباء ٣/ ٣٧٣.

(٢) البيتان في «يتيمة الدهر» ٢/ ٢٣٦، وهما من الخفيف.

(٣) رواية الشطر في «يتيمة الدهر» ٢/ ٢٣٦: - فهو مثل الزمان فيه مصيف.

(٤) الدنان: (ج) الذن: الجرة الضخمة للخمر والزيت والخل وغيرها.

الرطل: اثنتا عشرة أوقية (ج) أرطال.

نعم قري السمع على شربها
ومن أحسن ما قيل قول ابن الرومي:
والله ما أدري لأية علة
الريحها أم روحها تحت الحشا
ومن قلائد أبي نواس قوله:
تمتغ من شراب ليس يبق
ألم ترني أبحت الراح عرضي
فلإني عالم أن سوف تنأى
ومن أحسن ما قيل في رقتها وصفائها قول صاحب^(٥):
رقّ الزجاج وراقت^(٦) الخمر
فكأنما خمر ولا قدح
ومن أحسن ما قال ابن المعتز:
وندمان سقيت الراح صرفاً
صفت وصفت زجاجتها عليها
ومن غرر أبي عثمان الخالدي قوله^(١٠):
هتف الصبح بالدجى فاسقنيها
قهوة تترك الحلیم سفيها

- (١) المزامير: (ج) المزار: الآلة التي يُزمر بها وقد تكون من خشب أو معدن تنتهي قصبته ببوق صغير.
(٢) القيان: (ج) القينة: الأمة، وغلب على المغنية.
(٣) الحشى: ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد والطحال والكرش وغيرها (ج) أحشاء.
(٤) الغبوق: ما يُشرب أو يُؤكل في الصباح ويقابله الغبوق.
(٥) المرشف: الشفاة، الواحد مرشف.
(٦) الظبي: جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والمجوفات القرون، من فصيلة البقريات أشهرها الظبي العربي الذي يقال له: الغزال الأعفر (ج) ظباء، وأظب، وظبي.
(٧) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣٠٤ وهما من الكامل.
(٨) في يتيمة الدهر ٣/٣٠٤: ورقّت.
(٩) في يتيمة الدهر ٣/٣٠٤: فتشابهها.
(١٠) هذا البيت ينسب لأبي نواس.
(١١) السجوف: (ج) السجف: أحد السترين المقرونين، بينهما فرجة.
(١٢) البيتان في يتيمة الدهر ٢/٢٣٨ وهما من الخفيف.

ليس يدري لرقّة وصفاء^(١) هي في كأسها أم الكأس فيها
ومن أحسن ما قيل في شعاعها على يد السّاقى قول التنوخي^(٢) (٣):
وراح من الشمس مخلوقة بدت لك في قَدَح من نهار
كأن المديّر لها باليمين إذا جال^(٤) للسّقي أو باليسار
تدرّع ثوباً من الياسمين له فردكُم من الجلّانار^(٥)
وقول السري الموصلّي^(٦):
وبكر شربناها على الورد بكرة فكانت لنا ورداً إلى ضحوّة الغد^(٧)
إذا قام مَبِيضُ اللباس يديرها توهّمته يسعى بكمّ مورد
ولأبي القاسم الحريري في رقتها:
قُم غلامي وهات كأس رضاب الـ كرم من فيك مازجاً برضاب^(٨)
من شراب كأنه في القوارير شهاب ممثل في شراب^(٩)
ليس يدري إذا تناوله الشا رب يجلى لأعين الشراب
أشراب ممثل في زجاج أم زجاج ممثل في شراب

(١) رواية الشطر في يتيمة الدهر ٢/ ٢٣٨: - لست تدري لرقّة وصفاء .

(٢) هو علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم (٢٧٨ - ٣٤٢ هـ = ٨٩٢ - ٩٥٣ م) أبو القاسم التنوخي، قاض، أديب، شاعر، عالم بأصول المعتزلة . ولد بأنطاكية، ورحل إلى بغداد في حدثه، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وكان معتزلياً، وولي قضاء البصرة والأهواز وغيرهما . ثم أقام زمناً ببغداد، وكان من جلساء الوزير المهلب، وزار سيف الدولة الحمداني، ومدحه . له ديوان شعر . توفي بالبصرة .

الأعلام ٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥ ، و يتيمة الدهر ٢/ ٣٩٣ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦٦ ، وتاريخ بغداد ١٢/ ٧٧ ، وإرشاد الأريب ٥/ ٣٣٢ - ٣٤٧ ، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٤١ .

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٢/ ٣٩٧ ، وفي معجم الأدباء ٤/ ٢٥٦ ، وفي وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٧ وهي من المتقارب .

(٤) في وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٧ ، وفي يتيمة الدهر ٢/ ٣٩٧ ، وفي معجم الأدباء ٤/ ٢٥٦ : مأل .

(٥) الياسمين : جنس نباتات من الفصيلة الزيتونية والقبيلة الياسمينية . تُزرع لزهرها ، ويستخرج دهن الياسمين من زهر بعض أنواعها . الجُلّثار : زهر الرمان (مع) فارسية .

(٦) البيتان في يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٣ وهما من الطويل .

(٧) الضحوّة : ارتفاع الشمس أو النهار .

(٨) الرّضاب : الريق . وماء رضاب : عذب .

(٩) القوارير : (ج) القارورة : وعاء من الزجاج تُحفظ فيه السوائل .

السّراب : ما يُرى في نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء يلصق بالأرض ، ويُضرب به المثل في الكذب والخداع .

ومن غرر ابن المعتز:

وخماراً من بنات اليهود ترى الزق في بيتها سائلاً^(١)
وزنالها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلاً

وقوله أيضاً:

من لي على رغم العذول بقهوة بكر ربيبة حانة عذراء^(٢)
موج من الذهب المذاب يضمه كأس كقشر الدرة البيضاء
وقوله أيضاً:

يا نديمي عاطياني فقد لاح صباح وأذن الناقوس^(٣)
من كميته كأنه أرض تبر في نواحيه لؤلؤ مغروس^(٤)
ومما يُستحسن للنظام قوله:

ما زلت آخذ روح الزق في لطف حتى انتشيت ولي روحان في بدني
وأستبيح دماً من غير مجروح والزق مطرح جسم بلا روح

وأحسن ما قيل في المطبوخ قول بعضهم:

وراح عذبتها النار حتى وقت شرابها نار العذاب
يُذيب الهمة قبل الشرب لون لها في مثل ياقوت مذاب

وفي ضده للسري الموصلي:

هات التي تورث شرابها غداً بيوم الحشر وزراً^(٥)

ومن أحسن ما قيل في مزج الشراب قول أبي تمام:

عنبيه ذهبية سبكت لها ذهب المعاني صاغة الشعراء
فكانها وكأن بهجة كأسها ناراً ونور قيذاً بسوءاء
صعبت فراض المرج سيء خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء

وقول الآخر وهو متنازع:

(١) الزق: وعاء من جلد يُتخذ للماء أو الشراب (ج) أزقاق، وزقاق..

(٢) الربيبة: مؤنث الريب: ولد المرأة من زوج سابق. العذراء: البكر.

(٣) الناقوس: آلة من نحاس ونحوه تُضرب للتنبيه (ج) نواقيس.

(٤) الكميته: الخمر. التبر: ثبات الذهب أو الفضة قبل أن يُصاغا، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة.

(٥) هات: اسم فعل أمر بمعنى أعطني. يوم الحشر: يوم القيامة. الوزر: الإثم والذنب (ج) أوزار.

وحمرء قبل المزج صفراء بعده
حكث وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
ومن أحسن ابن المعتز قوله:

وأمطر الكأس ماء من أبارقه
وسبّح القوم لما أن رأوا عجباً
ومن أحسن ما قيل قول الدمشقي^(٢):

عذبتُها بالمزاج فابتسمت
كأن أيدي المزاج قد سُبكت
ومن قوله أيضاً^(٣):

امزج^(٤) بمائك نار كأسك واسقني
واشرب على زهر الرياض مدامةً
فكانها وكأن حامل كأسها
شمس الضحى رققت فنقط وجهها
وأظرف ما سمعت في كراهة المزاج قول الصابي^(٦):

حرم الماء فأبـ
أقراخ أنا حنّـى
ومن أحسن ما قيل في الساقى قول ابن المعتز:

قد حشني بالكأس أول فجره
وكان حمرة لونها في خده
ساق علامة دينه في خصره
وكان طيب نسيمها في نشره^(٩)

(١) التُّرجس: جنس نباتات بصلية حولية من فصيلة النرجسيات. أنواعه كثيرة العدد، يعيش ويوجد في جميع الأتربة الزراعية. ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها وزهرته تشبه بها الأعين. شقائق النعمان: زهر أحمر.

(٢) البيتان في يتيمة الدهر ٣٣٦/١ وهما من المنسرح.

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٣٣٦/١ وهي من الكامل.

(٤) في يتيمة الدهر ٣٣٦/١: فامزج.

(٥) الجوزاء: أحد بروج السماء، ونطاق الجوزاء ثلاثة نجوم تيرة مُصطفة في وسط الجوزاء.

(٦) البيتان في يتيمة الدهر ٣٠٨/٢ وهما من مجزوء الكامل.

(٧) في يتيمة الدهر ٣٠٨/٢: وأبعده.

(٨) في يتيمة الدهر ٣٠٨/٢: القراخا. القراخ: الخالص من كل شيء.

(٩) الشُّر: الرائحة الطيبة أو الرائحة عموماً.

حتى إذا صبَّ المزاج تبسمت عن ثغريها فحسبته من ثغريه
ومن أحسن ما قال أبو فراس الحمداني:

تبسم إذ تبسم عن أقاح وأسفر حين أسفر عن صباح^(١)
فمن لآلآ غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي^(٢)

ومن أحسن عبدالله بن عبدالله بن طاهر في الساقى:
سقتني في ليلٍ شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فما زلتُ في ليلين منه ومن دُجى وشمسين من راحٍ ووجه حبيب
ومن أحسن ابن المعتز قوله:

وساقٍ مُطيع لأحبائه على الرقباء شديد الجرة^(٣)
وفي عطفة الصَّدغ خالٌ له كما مست الصولجان الكرة^(٤)
ومن أحسن الخالدي:

فالكف عاَجَ والحباب لآلي والراح تبرُّ والزجاج زبرجد^(٥)
ومن أحسن ما قيل في وصف الشراب قول ابن الرومي:

ومدامة كحشاشة النفس لطفَت عن الإدراك بالحسن
فكانها وكأنَّ شاربها قمرٌ يقبُل عارض الشمس
وقول ابن المعتز:

كأنَّما الكأس إلى ثغرها متصلاً بالأنمل الخمس^(٦)
ياقوتة حمراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس

-
- (١) الأقاحي: (ج) الأقحوان: نبات عشبي حولي تزييني من الفصيلة المركبة ينمو برياً وزراعياً. وهو من المحاصيل الصناعية والطبية. وأوراق زهر الأقحوان صغيرة يُشبهون بها الأسنان.
- (٢) لآلآ النجم أو البرق: لمع في اضطراب. الصهباء: من أسماء الخمر أو هي المعصورة من عنب أبيض.
- (٣) الجرة: الشر الشديد. (لسان العرب ١٣/٤٨٥ مادة: جره).
- (٤) الصَّدغ: القسم الجانبي من الرأس بين العين والجيبة والأذن والخد وهما صدغان. أو هو الشعر المتدلي بين العين والأذن (ج) أصداغ.
- الصولجان: العود المعوج، فارسي معرب، أو: الصولجان عصاً يُعطف طرفها يُضرب بها الكرة على الدواب. (لسان العرب ٢/٣١٠ مادة: صلج).
- (٥) العاَج: ناب الفيل. الحباب للماء والخمر: الفقاقيع التي تملؤها. الزبرجد: حجر كريم ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر والأصفر.
- (٦) الأنملة: رأس الإصبع، أو المفصل الأعلى من الإصبع الذي فيه الظفر.

ومن أحسن ما قيل في نعت الرَّاح على السماح قول بعضهم:
أيسر جودي أنني كلُّما أسرفتُ في الشُّكرِ ولم أدرِ
ندمتُ في الصُّحورِ على كلِّ ما أبقيتُ من مالي في الشُّكرِ

ومن أحسن ما قيل في الاعتذار من هفوة الشُّكرِ:
قُلْ لِلأَمِيرِ أدامَ اللهُ رَفَعَتُهُ العفو أفضل ما تنحوهُ من نحوِ
إنَّ الشَّرابَ لَهُ شرطٌ سمعتُ بِهِ أن لا يعاد حديث الشُّكرِ في الصُّحورِ

وقول الآخر:

يا ابن عثمان بلغوك مقالاً لم أقلهُ ولم يكن من كلامي
إن أكن لم أقلهُ فالعذر فضل أو أكن قلتُهُ فذنب المدام
وفي ذم النبذ^(١):

تركْتُ النبذ وأصحابه وصرْتُ قريباً لمن عابَهُ^(٢)
شرباً يضلُّ سبيل الرشا د ويفتح للشُّرَّ أبوابه
ومن أحسن ما قيل في استهداء الشَّراب قول السَّري^(٣):

أبا حسنٍ إنَّ وجه الرِّبيع جميلٌ يزان بحسنِ العقارِ^(٤)
فلإنَّ الرِّبيعَ نهارُ السَّروِ والرَّاح شمسٌ لذاك النِّهارِ
وإنَّكَ مشرقُها إن أردتِ وإن لم ترْدْ غرْبُها في استتارِ
فأجرِ إليَّ بحارَ العقارِ رِ فمن فيض كَفَّكَ^(٥) فيض البحارِ

ومن أحسن ما قيل عند زورة الحبيب:

نفسي فداؤك يا أبا غسان خذ قصتي واسمع طرائف شاني
عندي حبيبٌ كاملٌ وحبيبتي بدرُ الدُّجى من فوقِ غصن البانِ^(٦)

(١) الثَّبِيذُ: شراب مسكر يُتخذ من عصير العنب أو التمر أو غيرهما، ويُترك حتى يختمر (ج) أبذة.

(٢) القرين: المصاحب (ج) قرناء.

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٢٠٤/٢ وهي من المتقارب.

(٤) العقار: الخمرة.

(٥) في يتيمة الدهر ٢٠٤/٢: كَفَّكَ.

(٦) البانُ: ضرب من الشجر من فصيلة البانيات طويل الأفنان لينها تُشَبَّه به قدود الحسان في الطول واللين.

ورقه كورق الصفصاف. واحدته بانه.

فابعث بها بكرة كأن حبابها
ولك الثنا والود من شرابها
ومن أحسن ما يليق في هذا الباب :

فم فاسقني بين خفق الناي والعود
نحنُ الشهود وخفق العود خاطبنا
ومن أحسن ما قال عبدالله بن عبدالله بن طاهر :

عيد بنا إن هذا يوم تعييد
واشرب على الأخوين الناي والعود
ومن أحسن ما قيل في العود ووصف الزامر والمغني معاً :

يا صاح هلاً زرتنا في مجلس
حضرَ والسرور به ونغم الحاضر
زمرَ المغني فيه من إحسانه
والكأس دائرة وغنى الزامر
ومن أحسن ما قيل في العود قول سعيد بن حميد^(١) :

وناطق بلسان لا ضمير له
كأنه فخذ نيطت على قدم
يبدي ضمير سواه في الحديث كما
يبدي ضمير سواه منطلق القلم
ولسيف الدولة في المغني :

ومغن عذب الكلام بجازي
ك بما تشتهيه في ميدانك
ألمعي كأن قلبك في أض
لأعه أو كلامه في لسانك^(٢)
وقول بعضهم في هجاء المغني :

غناؤك فقر يزيل الغنى
وضربك يوجب ضرب العنق
فأنت الكلاب إذا ما عوث
وأنت الحمار إذا ما نهق^(٣)

(١) هو سعيد بن حميد بن سعيد (توفي نحو ٢٥٠هـ = نحو ٦٨٤م) أبو عثمان، كاتب مترسل، من الشعراء أصله من النهروان الأوسط، من أبناء الدهاقين. ومولده ببغداد، ثم كان ينتقل في السكنى بينها وبين سامراء، وقلده المستعين العباسي ديوان رسائله. أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة، وشعره رقيق، كان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة وأضرابه. الأعلام ٣/ ٩٣-٩٤، والأغاني ١٨/ ١٥٩، والمورد ٢٢٨/ ٢/ ٣.

(٢) الألمعي: الذكي المتوقد الصادق الفراسة.

(٣) نهق الحمار: ضوَّت.

الباب السابع

في الربيع وآثاره

من أحاسن ما قيل في الربيع قول ابن المارداني :

أما ترى الأرض قد أعطتك عذرتها
فللسماء بكاء في حدائقها
مخضرة واكتسى بالنور عاريها
وللرياض ابتسام في نواحيها
وقول الصنوبري^(١) :

تبارك الله ما أحلا الربيع فلا
من شَم طيب جنيات الربيع يقل
يغرر مقايضه بالصيف مغرور
لا المسك مسك ولا الكافور كافور
وقول بعضهم :

طاب هذا الهواء وازداد حتى
ذهب حيث ما ذهبنا وورد
ليس يزداد طيب هذا الهواء
حيث ردنا وفضة في الفضاء
وقول أبي الفتح بن^(٢) العميد^(٣) :

أسعد^(٤) بنيروز أذاك مبشراً
واشرب وقل حل الربيع نقابه
بسعادة وزيارة^(٥) ودوام^(٦)
عن منظر متهلل بسام

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مزار الضبي الحلبي الأنطاكي (توفي ٣٣٤ هـ = ٩٤٦ م) أبو بكر المعروف بالصنوبري، شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة، تنقل بين حلب ودمشق، وجمع الصولي ديوانه. الأعلام ٢٠٧/١، وفوات ٦١/١، والبداية والنهاية ١١٩/١١ سماه «محمد بن أحمد بن محمد بن مراد».

(٢) هو علي بن محمد بن الحسين (٣٣٧-٣٦٦ هـ = ٩٤٨-٩٧٧ م) أبو الفتح ابن العميد. وزير، من الكتاب الشعراء الأذكياء، يلقب بذي الكفائتين، خلف أباه في وزارة ركن الدولة البويهبي بالري ونواحيها، ولقبه الخليفة الطائع لله بذي الكفائتين (السيف والقلم) واستمر إلى أيام مؤيد الدولة، وأحبته القواد وعساكر الديلم لكرمه وطيب أخلاقه، فخاف آل بويه العاقبة، فقبض عليه مؤيد الدولة وعذبه ثم قتله، وأخباره كثيرة.

الأعلام ٣٢٥/٤، وإرشاد الأريب ٥/٣٤٧-٣٧٥، وبيتمة الدهر ٣/٢١٥، ومعجم الأدباء ٤/٢٥٧.

(٣) البيتان في بيتمة الدهر ٣/٢١٨، وهما من الكامل.

(٤) في بيتمة الدهر ٣/٢١٨: أبشر.

(٥) في بيتمة الدهر ٣/٢١٨: وزيادة.

(٦) الثيروز: بالفارسية: اليوم الجديد، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية الإيرانية ويوافق الحادي والعشرين من شهر آذار من السنة الميلادية، وعيد النيروز أكبر أعياد الفرس القومية.

وقول مؤلف الكتاب:

أظنَّ الرَّبِيعَ الآنَ قَدْ جَاءَنَا تَاجِراً ففِي الشَّمْسِ بَرَّازاً وَفِي الرِّيحِ عَطَّاراً^(١)
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّ تَوَاجِهَ وَجْهَهُ وَتَقْضِي بَيْنَ الْوَشْيِ وَالْمَسْكِ أَوَّطَاراً^(٢)
وَمِنْ بَدَائِعِ أَبِي الْفَرَجِ قَوْلُهُ فِي قَوْسٍ قُرْجٍ^(٣):
سَقِيَا لِيَوْمٍ تَرَى قَوْسَ السَّمَاءِ بِهِ وَالشَّمْسُ مَسْفِرَةٌ وَالْبَرْقُ خِلَاسٌ^(٤)
كَأَنَّهَا قَوْسٌ رَامَ وَالْبُرُوقُ لَهَا رَشَقَ السَّهَامِ وَعَيْنَ الشَّمْسِ بَرَجَاسٌ^(٥)
وَمِنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْأَيَّامِ الرَّبِيعِيَّةِ الْمَوْصُوفَةِ بِالذَّجَنِ^(٦) وَالْمَطَرِ وَحَسَنَ الْأَثَرِ
قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ:

يَوْمٌ كَأَنَّ سَمَاءَهُ حُجِبَتْ بِأَجْنَحَةِ الْفَوَاحِشِ^(٧)
وَكَأَنَّ قَطَرَ نَثَارِهِ دَرَّ عَلَى الْأَغْصَانِ نَابِثٌ
وقول المهلبِي الوزير^(٨):

يَوْمٌ كَأَنَّ سَمَاءَهُ شَبِهَ الْحَصَانَ الْأَبْرَشِ
وَكَأَنَّ زَهْرَةَ أَرْضِهِ^(٩) فُرِشَتْ بِأَحْسَنِ مَفْرَشِ
وَالشَّمْسُ تَظْهَرُ تَارَةً وَتَغِيْبُ كَالْمَسْتُوحِشِ
شَبِهَتْ حَمْرَةَ عَيْنِهَا بِحِمَارِ عَيْنِ الْمُنْتَشِي
وَمِنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الشَّرْبِ عَلَى الذَّجَنِ وَالْمَطَرِ:
لَا يَكُنْ لِلْكَأْسِ فِي يَدِي لَدَيْكَ يَوْمَ الذَّجَنِ لَبِثٌ

(١) الْبَرَّازُ: بَائِعُ الْبَرِّ (الْبَرِّ: الثَّيَابُ، أَوْ مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الثَّيَابِ وَنَحْوِهَا).

الْعَطَّارُ: بَائِعُ الْعَطْرِ، وَحِرْفَتُهُ الْعَطَارَةُ، وَيَطْلُقُ الْعَطَّارُ عَلَى بَائِعِ التَّوَابِلِ وَالْأَبْزَارِ وَنَحْوِهَا.

(٢) الْأَوَّطَارُ: (ج) الْوَطَرُ: الْحَاجَةُ وَالْبَنِيَّةُ.

(٣) قَوْسٌ قُرْجٌ: قَوْسٌ يَنْشَأُ فِي السَّمَاءِ، وَيَكُونُ فِي نَاحِيَةِ الْأَفَقِ الْمُقَابِلَةِ لِلشَّمْسِ، وَتُرَى فِيهِ أَلْوَانُ الطَّيْفِ الْمُتَابِعَةِ: الْبَيْنَفَسَجِي، النَّيْلِي، الْأَزْرَقُ، الْأَخْضَرُ، الْأَصْفَرُ، الْبَرْتَقَالِي، الْأَحْمَرُ. وَيَنْشَأُ مِنْ حَادِثٍ تَحُلُّلِ الضَّوئِ الْأَبْيَضِ إِلَى أَلْوَانِ الطَّيْفِ عِنْدَمَا يَمُرُّ خِلَالِ ذَرَاتِ الْمَاءِ الصَّغِيرَةِ الْمُعْلَقَةِ فِي الْهَوَاءِ وَالتِّي تَقُومُ بِدَوْرِ الْمَوْشُورَاتِ.

(٤) خِلَاسُ الشَّيْءِ: اسْتَلْبَهُ فِي مَخَاتَلَةٍ وَغَفْلَةٍ.

(٥) الْبَرَجَاسُ: غُرْضٌ فِي الْهَوَاءِ يُرْمَى بِهِ. (مَوْلَدٌ). (لِسَانُ الْعَرَبِ ٢٦/٦ مَادَّةُ: بَرَجَسَ).

(٦) الذَّجَنُ: ظُلْمَةُ الْغَيْمِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ. أَوْ الْمَطَرُ الْكَثِيرُ (ج) دَجُونٌ.

(٧) الْفَوَاحِشُ: (ج) الْفَاحِشَةُ: نَوْعٌ مِنَ الْحَمَامِ الْمَطُوقِ إِذَا مَشَى تَمَائِلًا.

(٨) الْأَبْيَاتُ فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ ٢٨٢/٢ وَهِيَ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ.

(٩) فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ ٢٨٢/٢ رَوَضُهُ.

أو ما تعلم أن الـ — دَجَنَ ساق مستحث
وقول ابن المعتز:

إشرب فقد دارت الكؤوس وفارقت يومك النُحوس
في كلِّ يومٍ جديدٍ روض عليه دمعُ الندى حبيس
ومأتم في السماء يبكي والأرض من تحتها عروس^(١)
وقول الحمداني:

الخمر شمس في غلالةٍ لا ذِ تجري ومطلعها من الجرذاذ^(٢)
فاشرب على رشِّ الغمام فيومنا في مجلسِ البستانِ يوم رذاذ^(٣)
وانظر إلى لمعِ البروق كأنها يوم الضُّراب صفائح الفولاذ
وأحسن ما قيل في اليوم المتلون قول علي بن الجهم^{(٤)(٥)}:

أما ترى اليومَ ما أخلا شمالكه صحواً وغيماً وإبراقاً وإرعاداً^(٦)
كأنه أنت يا مَنْ لا شبيهَ له وصلأً وهجراً وتقريباً وإبعاداً^(٧)
وأحسن ما قيل في الرياض والزهر:

وروضٌ عن صنيعِ الغيثِ راضٍ كما رضي الصَّدِيقُ عن الصَّدِيقِ
إذا ما القطرُ أسعدهُ صبحاً أتمَّ له الصنِيعَ بالغُبوقِ
كأنَّ الدُّرَّ منتثراً عليه بقايا الدَّمعِ في خدِّ المشوقِ

(١) المأتم: كل مجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الأحزان (ج) مأتم.

(٢) الغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت الدثار (ج) غلائل.

اللاذ: ثياب حرير تنسج بالصين واحدة لاذة، وهو بالعجمية سواء تسميه العرب والعجم اللاذة. (لسان العرب ٥٠٨/٣ مادة: لوذ).

(٣) الرذاذ: المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغير القطر كأنه الغبار.

(٤) هو علي بن الجهم بن بدر (توفي ٢٤٩هـ = ٨٦٣م) أبو الحسن. شاعر رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي. ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة وانتقل إلى حلب ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب، فقاتلهم، وجرح ومات من جراحه. له «ديوان شعر».

الأعلام ٢٦٩/٤ - ٢٧٠، ووفيات الأعيان ٣/٣٥٥، وتاريخ بغداد ١١/٣٦٧، والأغاني ١٠/٢٤٧.

(٥) الأبيات في الأغاني ١٠/٢٦٩.

(٦) رواية الشطر الثاني في الأغاني ١٠/٢٦٩: - صحوً وغيمً وإبراقً وإرعادً

(٧) رواية الشطر الثاني في الأغاني ١٠/٢٦٩: - وصلً وهجراً وتقريبً وإبعادً.

كَأَنَّ غَصَوْنَهُ شَرِبْتَ رَحِيقًا فَمَاسَتْ مَيْسَ شَرَابِ الرَّحِيقِ^(١)
كَأَنَّ شَقَائِقَ الثُّعْمَانِ فِيهِ مُحَضَّرَةٌ كُؤُوسٍ مِنْ عَقِيقِ^(٢)
كَأَنَّ الثُّرَجْسَ الرُّوضِيَّ فِيهِ مَدَاهِنٌ مِنْ لَجِينٍ لِلْخُلُوقِ^(٣)
يَذْكُرْنِي بِنَفْسِجِهِ بِقَايَا صَنِيعِ اللَّطْمِ بِالْخُذِّ الرَّقِيقِ^(٤)
وَمِنْ مَلَحِ ابْنِ سَكْرَةَ قَوْلِهِ^(٥):

أَمَّا تَرَى الرُّوضَةَ قَدْ نَوَّرَتْ وَظَاهَرَ الرُّوضَةَ قَدْ أَعَشَبَا
كَأَنَّمَا الرُّوضُ^(٦) سَمَاءٌ لَنَا نَقُطِفُ مِنْهَا كُوكِبًا كُوكِبَا
وَلَا بِنِ الْمَعْتَزِّ فِي النَّسِيمِ:

يَا رَبَّ لَيْلٍ سَحَرُ كُلِّهِ مَفْتَضِحُ الْبَدْرِ عَلِيلُ النَّسِيمِ
يَلْتَقِطُ الْأَنْفَاسَ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ فِيهِدِيهِ لِحَرِّ الْهَمُومِ
وَفِي غَنَاءِ الطَّيْرِ:

ذُرَى شَجَرٍ لِلطَّيْرِ فِيهَا تَشَاوَرُ كَأَنَّ صَنُوفَ الزُّهْرِ فِيهَا جَوَاهِرُ
كَأَنَّ الْقِمَارَى وَالْبَلَابِلُ فَوْقَهَا قِيَانٌ وَأَوْرَاقُ الْغَصُونِ سَتَائِرُ^(٧)
شَرِبْنَا عَلَى ذَاكَ التَّرْتَمَ قَهْوَةً كَأَنَّ عَلَى حَافَاتِهَا الدَّرُّ دَائِرُ
وَلَا بِنِ الْمَعْتَزِّ فِي الثُّرَجْسِ:

عَيُونٌ إِذَا عَايَنْتَهَا فَكَأَنَّمَا وَقُوعُ النَّدَى مِنْ فَوْقِ أَجْفَانِهَا دُرُ
مَحَاجِرُهَا بَيَضٌ وَأَحْدَاقُهَا صُفْرُ وَأَجْسَادُهَا خُضْرُ وَأَنْفَاسُهَا عَطْرُ
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الْوَرْدِ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ:

زَائِرٌ يَهْدِي إِلَيْنَا نَفْسَهُ فِي كُلِّ عَامٍ

-
- (١) الرَّحِيقُ: الخمر أو أطيبها وأفضلها. ماس: تهادى وتبخر وتمایل.
(٢) العقيق: حجر كريم يُعمل منه الفصوص.
(٣) اللجين: الفضة. الخُلُوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران.
(٤) البنفسج: نوع من الرياحين عطر الرائحة وهو نبات من الفصيلة البنفسجية من ذوات الفلقتين الكثيرة التويجات. يُزرع للزينة ولأزهاره، تكلمت به العرب وورد في الشعر القديم، وله استعمال طيبة.
اللطم: ضرب على الوجه بباطن الراحة.
(٥) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣٣ وهما من السريع.
(٦) في يتيمة الدهر ٣/٣٣: الأرض.
(٧) القمارى: (ج) القمرية وهي أنثى القمرى: ضرب من الحمام مطروق، حسن الصوت.
البلابل: (ج) البلبل: طائر صغير حسن الصوت يُضرب به المثل في طلاقة اللسان وحسن الصوت.

حَسَنَ الْوَجْهَ ذَكِيَّ الرِّيحِ إِلْفَ لِمَدَامِ

وقول ابن المعتز:

كَأَنَّمَا صَبَغْتَهُ وَجَنَّتَا خَجَلٌ قَدْ حُلَّ عَقْدُ سِرَاوِيلٍ وَأَزْرَارَا^(١)

فَلَوْ رَأَى حَبِيسٌ وَسَطَ صَوْمَعَةٍ لَقَالَ فِي مِثْلِ هَذَا فَادْخُلُوا النَّارَا

قال ابن الحجاج^(٢) في غلام حيَّاه بوردة^(٣):

جَنَى مِنَ الْبَسْتَانِ لِي وَرْدَةٌ أَحْسَنَ مِنْ إِنْجَاذِهِ وَعَدِي

فَقَالَ وَالْخُمْرَةُ فِي كَفِّهِ كَالْوَرْدِ أَوْ أَزْكَى مِنَ الْوَرْدِ^(٤)

اشْرَبْ هَنِيئًا لَكَ يَا عَاشِقِي رِيقِي مِنْ كَفِّي عَلَى خَدِّي

وقد ظرف بعضهم في قوله:

أَتَى الْوَرْدَ فِي زَيِّ الْخُدُودِ مِنَ الْمَرْدِ وَزَادَ فَحِيًّا بِالْعَبِيرِ وَيَالْنَدِ^(٥)

شَرِبْنَا عَلَيْهِ قَهْوَةَ طَالَ عَهْدُهَا فَرَقُّتُ كَمَا رَقَّ الشَّجِي مِنْ الْوَجْدِ

كَأَنَا مِنَ الْوَرْدِ التُّضْيِيرِ وَفَعَلَهُ بِالْوَانِنَا وَرَدُّ أَضْيَفَ إِلَى الْوَرْدِ

وقوله في باكورة^(٦) ورد لم تفتح:

ووردة تحكي لهذا الورْدِ طليعة تسرَّعت من جنْدِ^(٧)

(١) السراويل: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما (ج) سراويلات.

(٢) هو حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج (توفي ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م) النيلي البغدادي أبو عبدالله، شاعر فحل، من كتاب العصر البويهي. غلب عليه الهزل، وفي شعره عذوبة وسلامة من الكلف. له معرفة بالتاريخ واللغات، اتصل بالوزير المهلبى وعضد الدولة وابن عباد وابن العميد وله ديوان شعر، وخدم بالكتابة في جهات متعددة، وولي حصة بغداد مدة وعزل عنها نسبه إلى قرية النيل ووفاته فيها، ودفن في بغداد.

الأعلام ٢/ ٢٣١، وبتيمة الدهر ٣/ ٣٥ وسماء الحسن بن أحمد، وتاريخ بغداد ٨/ ١٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٦٨، ومعجم الأدباء ٣/ ١٠١.

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان ٢/ ١٧٠، وفي بتيمة الدهر ٣/ ٧٩ وهي في السريع.

(٤) رواية البيت في وفيات الأعيان ٢/ ١٧٠:

وقال والوردة في كفِّه من قدح أذكى من الند

وروايته في بتيمة الدهر ٣/ ٧٩:

وقال والوردة في كفِّه مع قدح أذكى من الند

(٥) العبير: أخلاط من الطيب. الند: ضرب من النبات يتخمر بعوده.

(٦) الباكورة: أول ما يُدرِك من الثمر.

(٧) الطليعة: طليعة الجيش: مقدمته ومن يبعث أمامه ليعرف خبر العدو (ج) طلائع.

قد ضمَّها في الغصنِ قرصَ البردِ ضمَّ فمَ لقبَلته من بعدِ
ومن أحسنَ ما قيلَ في الوردِ:

ورودٌ في بنانٍ معطّارٍ حيث به في لطيفِ أسرارِ
كأنَّها وجنة الحبيبِ وقد نقطها عاشقٌ بدينارٍ^(١)

وأحسنَ ما قيلَ في التمثيلِ بالوردِ قولُ ابنِ أبي عُيَينة:

أرى عهدَها كالوردِ ليسَ بدائمٍ ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ
وعهدي بها كالآسِ حسناً وزينةً له منظرٌ يبقى إذا ذهبَ الوردُ^(٢)

ومن أحسنَ ما قيلَ في تشبيهِ الملولِ به قولُ ابنِ الجهم:

ما أخطأ الوردَ منك شيئاً حسناً وطيباً ولا ملالاً
أقامَ حتى إذا أنسنا بقربه أسرعَ انتقالاً

ومما قيلَ في البنفسجِ:

بنفسجٍ يذكِي الرُّوحَ مخصوص ما في زمانِكَ إنَّ وافيكَ تنغيصُ^(٣)
كأنه شعلَةُ الكَبيرِيتِ بارزةً أو خذْ أغيدَ بالتجميشِ مقروصُ^(٤)

ولابنِ المعتزِ في النُّومِ المختلفِ:

وترى البهارَ معانقاً لبنفسجٍ وكأنَّ ذلكَ زائرٌ ومزورُ^(٥)
وكانَ نرجسُهُ عيونٌ كُحِلت بالزُّعفرانِ جفونُها الكافورُ^(٦)
تحيي النفوسَ بطيبِها فكأنَّها طعمَ الرضابِ يناله المهجورُ

(١) الوجنة: ما ارتفع من الخدين (ج) وجنات.

الدينار: نقد ذهبي، أو عملة في بعض الدول العربية (ج) دنانير.

(٢) الآس: نبات من فصيلة الآسيات، بيضي الورق، أبيض الزهر عطري، ثماره صغيرة ذات لون أبيض أو أسود تسمى حب الآس، وهي تؤكل وفيها عفوصة. وورقه دائم الخضرة. ينبت برياً في بعض جبال الشام الغربية، وكان شائعاً في صالحية دمشق.

(٣) نغص عليه: كذّر. فالنغص: كدر العيش.

(٤) جَمَش المرأة: لاعبها وغازلها.

(٥) البهار: جنس زهر من المركبات الأنبوية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع، ويقال له: القرار.

(٦) الزعفران: نبات بصلي عطري معمر من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية ونوع زراعي صبغي طبي مشهور. زهره أحمر إلى الصفرة (ج) زعفران.

الباب الثامن

في الصَّيف والخريف والشتاء

من أحسن ما قيل في الحر قول بعض العرب :

ويومٌ كأنَّ المصطلين بحرَه وإن لم يكن جمرًا قيام على الجمر^(١)
صبرتُ له حتى يمرُّ وإنما تفرج أيام الشَّدائد بالصَّبرِ
وقول مؤلف الكتاب :

رُبَّ يوم هواؤه يتلظى فيحاكي فؤاد صبّ متيم
قلتُ إذ صكَّ حرّه حرّ وجهي ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
ولأبي إسحاق الصَّابي في البق^(٢)(٣) :

وليلة لم أذق من حرّها وسناً كأن في^(٤) جوّها النيران تشتعل
أطاف^(٥) بي عسكرٌ للبق ذو لجبٍ ما فيه إلا شجاع فاتك بطل^(٦)
من كلّ سائلة^(٧) الخُطوم طاعنة لا تحجب السَّجف سراها ولا الكلل^(٨)
طافوا علينا وحرّ الشمس يطبخنا حتى إذا نضجت أجسادنا^(٩) أكلوا
وقول مؤلف الكتاب :

وليلٌ بته رهن اكتئابٍ أقاسي فيه ألوان العذاب
إذا شرب البعوض دمي وغنى فللبرغوث رقص في ثيابي^(١٠)

(١) اصطلى حر النار وبها : استدفأ بها . واصطلى بالأمر : عانى شدته وتعبه .

(٢) البقّ : جنس من الحشرات أحمر اللون متن الريح يتغذى بدم الإنسان ويعيش في البيوت .

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٢ / ٣١٦ - ٣١٧ وهي من البسيط .

(٤) في يتيمة الدهر ٢ / ٣١٦ : من

(٥) في يتيمة الدهر ٢ / ٣١٧ : أحاط .

(٦) اللجب : الكثرة .

(٧) في يتيمة الدهر ٢ / ٣١٧ : سائلة .

(٨) السَّجف : الستائر . والكلل : التعب .

(٩) في يتيمة الدهر ٢ / ٣١٧ : حتى إذا طبخت أجسامنا .

(١٠) البعوضة : حشرة من رتبة ثنائية الأجنحة من فصيلة البعوض . أعضاء فمها متخصصة عادة للمص ، ومن أنواعها ما ينقل البُرءاء إلى الإنسان .

البرغوث : ضرب من صفار الهوام ، عضوض ، شديد الوثب ، من رتبة مخفية الأجنحة وفصيلة البرغوثيات ، يتطفل على اللبائن والطيور (ج) براغيث .

ومن أحسن ما قيل في الباذنجان^(١):

وباذنجانة حشيت حشاها
تقمّصت البنفسج واستقلت
ومن أحسن ما قيل في المشمش^(٢):
أما ترى المشمش يا خلّ الأدب
مثقب الهامات من غير ثقب
صغار الدّر باللبن الحليب
من الآس الرطيب على قضيب
مشطباً أكرم بهاتيك الشطب
كأنه بنادق من الذهب^(٣)
قد صاعها صانغها بلا تعب

ومن أحسن ما قيل في التفاح:

راخ وتفاحة من كفّ جارية
كأنما هذه هاتيك دانية
للصاحب في وصف حبة عنب:

وحبة من عنب قطفتها
كأنها من بعد تمييزي لها
تחסدما العقود في الترائب^(٤)
لؤلؤة قد ثقت من جانب
وأحسن ما سمعت في أكل العنب تعللاً به وتسلياً عن الخمر:

لحاني عذولي بلّ نهاني إذ رأى
وقد ألزمتني رقة الحال صرمها^(٥)
فقلت له: الصّهباء كانت عشيقتي
ومن أحسن ما قيل في الرمان^(٦) قول بعضهم:

ورمان رقيق القشر يحكي
ثدي الغيد في أثواب لاذ

-
- (١) الباذنجان: نبات زراعي حولي من الفصيلة الباذنجانية. له ثمر أسود أو أبيض مستطيل أو مكور يؤكل مطبوخاً ومُرَبَّباً بالسُّكَّر. (مع) فارسية.
- (٢) المشمش: شجر مثمر من فصيلة الورديات، له ثمر طيب. لذيق الطعم، يؤكل غصّاً ومجففاً ويكون منه (التَّقْوَع). ويجفف رُبُّهُ على شكل شرائح تسمى (قمر الدين). أشهر أصناف المشمش في الشام: الحموي والبلدي واللوزي والكلابي.
- (٣) الهامات: (ج) الهامة: الرأس أو رأس كل شيء.
- (٤) الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين، أو موضع الفلادة من الصدر.
- (٥) لحي فلاناً: لأمه وعذله وقزعه بشدة.
- (٦) صرم النخل والشجر: جَرَّهما. وصرم الحبل ونحوه: قطعه.
- (٧) الرمان: شجر مثمر من الفصيلة الرمانية له أنواع. يؤكل حبّه، ثماره كروية ضخمة مكلفة بأستان الكأس. قشورها صلبة متينة تبدو خضراء اللون ثم تنحرف إلى الحمرة مع اقترابها من الإدراك. ينمو الرمان في معظم أقاليم حوض البحر المتوسط.

إذا قشرتهُ طلعت علينا فصوص من عقيقٍ أو يجازي
ومن أحسن ما قيل في التين:

يا تين يا سيد الفواكه يا أطيب ما نجتني من الشجر
فضلك الله في الكتاب على الـ زيتون في آية من السور
ومن أحسن ما قيل في الفستق^(١) قول الصابي^(٢):

النقل في فستقٍ حديثٍ رطبٌ تبدي من الحفاف^(٣)
لي فيه تشبيه فيلسوف ألفاظه عذبةٌ خفاف
زمرد صانه^(٤) حريزٌ في حُقِّ عاجٍ له غلاف^(٥)
ومن أحسن المأموني قوله في الزبيب^(٦) الطائفي^(٧):

وطائفي من الزبيب به ينتقل الشرب حين ينتقل
كأنه في الإناء أوعية من البجazi ملؤها عسل^(٨)
ومن أحسن ما قيل في البرد قول الهمداني:

يوم من الزمهرير مقررٍ عليه جيب الضباب مزور^(٩)
وشمسهُ حرةٌ مخدرةٌ لم يبدُ لي من ضيائها نورُ
كأنما الجوّ حشوه بردٌ والأرض من تحته قواريرُ
ومن أحسن ما قيل في الشرب على الثلج والبرد قول ابن المعتز:

ذهب كؤوسك يا غلا مُ فإِنَّه يومٌ مُفضضُ

(١) الفستق: شجرة مثمرة من الفصيلة البطمية من ذوات الفلقتين، لثمها بزر زيتوني الشكل مائل إلى الخضرة، لذيق الطعم، يُنقل به وتُصنع منه الحلويات، وتكثر زراعته في حلب.

(٢) الأبيات في يتيمة الدهر ٣١٠/٢ وهي من مخلع البسيط.

(٣) رواية البيت في يتيمة الدهر ٣١٠/٢:

- والنقل من فستق جني رطبٌ حديثٌ به القطافُ

(٤) في يتيمة الدهر ٣١٠/٢: زانه.

(٥) الحق: وعاء الطب.

(٦) الزبيب: العنب المجفف.

(٧) البيتان في يتيمة الدهر ٢٠٤/٤ وهما من المنسرح.

(٨) رواية البيت الثاني في يتيمة الدهر ٢٠٤/٤:

- كأنه في الإناء أوعية الـ نحاس لكن ملاءها عسل

(٩) الزمهرير: شدة البرد. الضباب: بخار ماء كالندى سريع الانتشار يتكاثف قرب سطح الأرض كال دخان فيغشيها بالعشي والغداة ويحجب الرؤية.

والجوُّ يجلي في البيا ضٍ وفي حلى البردِ يُغرضُ
 أظنُّ ذَا ثُلجاً قَذا وردٌ على الأغصانِ ينقضُ
 وردُ الربيعِ ملوونٌ والوردُ في كانونٍ أبيضُ
 ومن أحسن ما قيل في الثلج قول الشاعر^(١):

أقبلَ الجوُّ في غلاتِ نورٍ وتهادى في لؤلؤٍ^(٢) منشورٍ
 فكأنَّ السماءَ صاهرتِ الأزَّضَ فكانَ النثارُ مِنْ كافورٍ^(٣)

ومن أحسن ما قيل في النار قول الصنوبري:

كلُّ شيءٍ مستحسنٌ في العيونِ دونَ حسِّ الكانونِ في كانونٍ^(٤)
 حسنٌ خذُ المعشوقِ فيه وفيه حرُّ أحشاءِ عاشقٍ محزونٍ
 وقول الأستاذ الطبري:

أعدَّ الورى للبردِ جُنداً مِنْ الصَّلَى وقابلته مِنْ بينهم بجنودي
 ثلاثٌ مِنَ النيرانِ نارٌ مداميةٌ ونارٌ صباباتٍ ونارٌ وقودي

الباب التاسع

في الآثار العلوية

من أحسن ما قيل في وصف الشمس قول الشاعر:

أما ترى الشمسَ بدتْ كأنَّها ترسٌ ذهبٌ^(٥)
 كأنَّها قَدْ ركبَتْ للنَّاظرينَ مِنْ لهبِ
 أشكرُ عنها فلِكَأ أحسنَ فيما قَدْ وهبِ

وأبداع ما قيل في مغالبة الشمس السحاب قول ابن المعتز:

تظلُّ الشمسُ ترمقُنا بلحظٍ مريضٍ مدنفٍ مِنْ خلفِ سترِ

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣٠٦ وهما من الخفيف.

(٢) في يتيمة الدهر ٣/٣٠٦: بلؤلؤ.

(٣) النثار: ما يثر في العرس من ذهب وغيره.

(٤) الكانون: الموقد يطبخ عليه.

(٥) الترس: ما يتوقى به في الحرب، أو الترس في الآلة: قطعة من الحديد مستديرة مسننة كترس الساعة ونحوها.

تَحَاوَلُ فَتَقَّ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْبَى كَعْنَيْنٍ يَرِيدُ نِكَاحَ بَكْرِ^(١)
ومن أحسن ما قيل في وصف الهلال قول كشاجم:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْهَلَا لِي بَدَا لَعَيْنِ الْمُبْصِرِ
أَوْ مَا تَرَاهُ يَلُوحُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ الْأَخْضَرِ
وقول الآخر:

يَا رَيْمُ قُومِي الْآنَ ثُمَّ لَتَنْظُرِي وَجَةَ الْهَلَالِ وَقَدْ بَدَا فِي الْمَشْرِقِ
كَخَلِيلَةٍ نَظَرَتْ إِلَى خُلٍّ لَهَا خَجَلًا وَقَدْ وَافَى بِكُمْ أَزْرَقِ
ومن أحسن السري قوله^(٢):

لَقَدْ سَلَّتْ جِيوشُ الْقَطْرِ فِينَا^(٣) عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ سَيُوفَ بَاسٍ
وَلَاخَ لَنَا الْهَلَالُ كَشَطْرِ طَوْقٍ عَلَى لَبَاتٍ زَرْقَاءِ اللَّبَاسِ^(٤)
وقول أبي عاصم البصري^(٥) في اقتران الهلال بالزهرة^(٦):

قَارَنَ الزَّهْرَةَ الْهَلَالُ وَكَانَا فِي افْتِرَاقٍ فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ هَجْرَةٍ
وَإِذَا مَا تَقَارَنَا قُلْتُ: طَوْقٌ مِنْ لَجِينٍ قَدْ عُلِقَتْ فِيهِ دِرَّةٌ
ولأبي نصر بن المرزبان^(٧) فيه^(٨):

- (١) العنّين: الذي لا يأتي النساء ولا يريد من بين العنّانة والعنينة والعنينة. (لسان العرب ١٣/ ٢٩١ مادة: عنن).
- (٢) البيتان في يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٨ - ٢٠٩ وهما من الوافر.
- (٣) رواية الشطر الأول في يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٨ -: وقد سَلَّتْ جِيوشُ الْفَطْرِ فِيهِ.
- (٤) اللَّبَات: الصدور، أو موضع القلادة منها.
- (٥) هو الضحّاك بن مخلد بن الضحّاك بن مسلم الشيباني بالولاء، البصري (١٢٢ - ٢١٢هـ = ٧٤٠ - ٨٢٨م) المعروف بالنبيل، شيخ حفاظ الحديث في عصره. له «جزء» في الحديث. ولد بمكة وتحول إلى البصرة فسكنها وتوفي بها. (الأعلام ٣/ ٢١٥).
- (٦) الهلال: القمر في الليلتين الأولى والثانية أو في الليالي الثلاث الأولى من بدء الشهر القمري. أو هو القمر في أواخر الشهر من ليلة السادس والعشرين منه إلى آخره، وهو في غير ذلك قمر. (ج) أهلة. الزهرة: كوكب مُشرق شديد اللمعان من سيارات النظام الشمسي، واسمه الشاعري: أناهيد، يدور حول الشمس بين عطارد والأرض.
- (٧) هو سهل بن المرزبان، أبو نصر (توفي نحو ٤٢٠هـ = نحو ١٠٣٠م) أديب مكثّر من جمع نفائس الكتب. أصله من أصبهان، ومولده ومنشأه في قاين (قرب نيسابور) كرر الرحلة إلى بغداد، في طلب الكتب، واستوطن نيسابور، وكان معاصراً للشعالي (صاحب اليتيمة). له نظم حسن، ومصنفات، منها «أخبار أبي العيّن» و«أخبار ابن الرومي» و«كتاب الألفاظ» و«الآداب في الطعام والشراب» و«أخبار جحظة البرمكي». (الأعلام ٣/ ١٤٣، ويتيمة الدهر ٤/ ٤٥٢).
- (٨) الأبيات في يتيمة الدهر ٤/ ٤٥٣ وهي من الكامل.

كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا وَلَمْؤُنْسِي^(١) طَرَفُ الْحَدِيثِ وَطَيْبُ حَثِّ الْأَكُوسِ
شَبَّهْتُ بَدْرَ سَمَائِهَا لَمَّا دَنْتُ مِنْهُ الثَّرِيَّا فِي قَمِيصِ سُنْدُسِي^(٢)
مَلَكًا مَهِيْبًا قَاعِدًا فِي رَوْضَةٍ حَيَاةُ بَعْضِ الزَّائِرِينَ بِنَرْجِسِ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ:

وَلَيْلَةٌ لَيْلَاءُ يَحْدُ كَيْهَا سَوَادُ الْمَفْرِقِ
كَأَنَّمَا نَجُومُهَا فِي مَغْرِبٍ أَوْ مَشْرِقِ
دِرَاهِمٌ قَدْ نُثِرَتْ عَلَى بَسَاطِ الْأَزْقِ
وقول ابن المعتز:

كَمْ لَيْلَةٍ مَحْمُودَةٍ أَحْيَيْتُهَا جَاءَتْ بِأَسْعَدِ طَالِعٍ لَمْ يَنْحَسِ^(٣)
وَتَوَقَّدَ الْمَرِيخُ بَيْنَ نَجُومِهَا كِبَاهَرَةٍ فِي رَوْضَةٍ مِنْ نَرْجِسِ^(٤)
وقوله أيضاً:

مَا زِلْتُ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمٍ لَامِعٍ وَكَأَنَّ جَنْبِي فَوْقَ جَمْرِ مَوْقِدِ
وَرَنَا إِلَيَّ الْفَرْقَدَانُ كَمَا رَنْتَ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أَسْوَدِ^(٥)
وقوله أيضاً:

نَادَمْتُ أَخَوَانِي بِدَجَلَةِ لَيْلَةٍ وَالنَّجْمُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ مَحْلُوقُ
وَالْبَدْرُ يَضْحَكُ وَجْهُهُ فِي وَجْهِهَا وَالْمَاءُ يَرْقِصُ حَوْلَنَا وَيَصْفُقُ^(٦)
ولآخر:

إِنَّ دَمْعِي فَوْقَ خَدِي مِثْلُ طُلُوعِ فَوْقِ وَرْدِ^(٧)
وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَحْكِي فَضْلاً فِي لَازُورْدِ^(٨)

(١) فِي يَتِيْمَةِ الدَّهْرِ ٤/٤٥٣: وَمؤنسي.

(٢) السُّنْدُسُ: ضَرْبٌ مِنْ رَقِيقِ الدِّيْبَاجِ أَوْ الْحَرِيرِ الْمَنْسُوجِ الَّذِي يَتَلَوَّنُ الْوَانَا.

(٣) الطَّالِعُ (عِنْدَ الْمُنَجِّمِينَ): مَا يَتَّبِعُ بِهِ الْمُنَجِّمُ مِنَ الْحَوَادِثِ بَطُلُوعَ كَوْكَبٍ مُعَيَّنٍ (ج) طَوَالِغَ.

(٤) الْمَرِيخُ: أَحَدُ كَوَاكِبِ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ.

(٥) الْفَرْقَدَانُ: اسْمُ لَنَجْمَيْنِ مِنْ نَجُومِ الدَّبِّ الْأَصْفَرِ، وَهُمَا فَرْقَدَانُ.

(٦) دَجَلَةٌ: النَّهْرُ الَّذِي يَمُرُّ بِبَغْدَادَ.

(٧) الطُّلُوعُ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ الضَّعِيفُ الصَّغِيرُ الْقَطَرِ (ج) طَلَالُ.

(٨) اللَّازُورْدُ: حَجَرٌ كَرِيمٌ مَشْهُورٌ يُتَخَذُ لِلْحُلِيِّ، أَجُودُهُ الصَّافِي الشَّفَافُ الْأَزْرَقُ الضَّارِبُ إِلَى خَضْرَاءَ، وَابْتَسَاجِي وَيَكْثُرُ اللَّازُورْدُ فِي أَفْغَانِسْتَانٍ وَغَيْرِهَا.

ومن أحسن ما قيل في الثريا^(١) قول ابن المعتز:

قُمْ يَا خَلِيلِي نَصْطَبْخُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمْ تَبَدُّثٌ مِنْ ثِيَابِ حَدَادٍ
وقول بعضهم:

كَأَنَّمَا نَجْمُ الثَّرِيَّا لِمَنْ يَرْمُقُهَا وَالظَّلَامُ مَنْطَبِقُ
مَالٍ بِخَيْلٍ يَظُلُّ يَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَيْسَ يَفْتَرِقُ
ومن أحسن ما قيل في طول الليل قول بعضهم:

إِنَّ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلُ تُطَوِّى وَتَبْسِطُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ
فَقَصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرورِ قَصَارُ
وقول ابن المعتز:

أَقُولُ وَقَدْ طَالَ لَيْلُ الْهَمومِ وَقَدْ طَلَعَتْ فِي عِدَادِ النُّجُومِ
عَسَى الشَّمْسُ قَدْ مَسَخَتْ كَوَكَبًا وَقَاسَيْتُ حَزْنَ فَوَادٍ سَقِيمِ
ومن أبدع ما قاله بعضهم:

عَهْدِي بِنَا وَرَدَاءُ الْوَصْلِ يَجْمَعُنَا وَاللَّيْلُ أَطْوَلُهُ كَاللَّمَحِ بِالْبَصْرِ
فَالآنَ لَيْلِي مُذْ غَابُوا فَدَيْتُهُمْ لَيْلُ الضَّرِيرِ فَصَبْحِي غَيْرُ مُنْتَظَرِ
ومن أحسن العلوي:

سَقَى اللَّهُ عَيْشًا مَضَى وَانْقَضَى زَمَانُ الصُّبَا وَالْهَوَى وَالْمَجُونِ
لَيْالِيهِ تَحْكِي اعْتِرَاضَ الظَّلَامِ فِي الطَّرَفِ عِنْدَ ارْتِدَادِ الْجَفُونِ^(٢)
وَأَيَّامُهُ مِثْلُ لَمَعِ الْبُرُوقِ وَيَسْبِقُ بِالْفُوتِ لَمَحَ الْعَيُونِ
ومن أحسن ما قيل في قصر الليل:

لَيْلُ الْمُحِبِّينَ مَطْوِيٌّ جَوَانِبُهُ مِثْلُ الْمَحَبَّةِ فِي قَصْرِ اللَّيْلِ
مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الصَّبْحَ نَمَّ بِنَا مَشْمُرُ اللَّيْلِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَصْرِ
ومن أحسن ما جاء في الليل:

يَا لَيْلَةَ جَمَعْتَنِي وَالْمَدَامُ وَمَنْ أَهْوَاهُ فِي رَوْضَةٍ تَحْكِي الْجَنَانُ لَنَا
لَأَشْكُرَنَّكَ مَا نَاخَتْ مَطْوِوَةٌ عَلَى الْغُصُونِ فَقَدْ طَوَّقْتَنِي مِنَّا^(٣)

(١) الثريا: مجموعة من النجوم.

(٢) الطَّرَفُ: العين.

(٣) المَطْوِوَةُ: الحمامة ذات الطوق من الريش يخالف لونها.

وقال مؤلف الكتاب:

هذه ليلة لها بهجة الطاووس حسناً واللون لون الغداف^(١)
رقد الدهر عندها فانتبهنا وسرقنا حظ السرور الشافي
بمدمام صاف وخل مصاف حبيب واف وسعد موافي

ومن أحسن ما جاء في الصبح قول بعضهم:

ولما رأيت الصبح قد سل سيفه وولى انهزاماً ليله وكواكبته
ولاح احمرار قلْتُ قد ذبح الدجى وهذا دم قد ضمح الليل ساكبته^(٢)

وقول ابن المعتز:

يا ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل حق العاج^(٣)
والصبح يتلو المشتري فكأته عرياناً يمشي في الدجى بسراج

وقول ابن طباطبا العلوي:

أكلما نلت في الهوى أمني ليلاً أتاني الصباح بالقوت
صبح كمثل المشيب مطلعته يهجم في نوره على الموت

وقول أبي فراس الحمداني:

مددنا علينا الليل والليل راضع إلى أن تجلى رأسه بمشيب
ولاح لنا ضوء الصباح كأته منادي نصول في عذار خضيب^(٤)

(١) الطاووس: طائر حسن الشكل، صغير الرأس، ذو ريش جميل كثير الألوان، يبدو كأنه يُعجب بنفسه وبريشه، ينشر ذنبه كالمروحة. يألف الغابات والغياض والمروج الدغلة. يعيش أسراباً صغيرة. قوته الثمار والحبوب والأعشاب والحشرات (يذكر ويؤث) (ج) طواويس.

الغداف: غراب متوسط الجثة أسحم، ريشه يلمع بحمرة، منقاره ورجلاه إلى الرمادي الأسمر. قوته الحشرات والديدان والحبوب (ج) غدقان.

(٢) ضمح جسده بالطيب: دهته به.

(٣) المحاق والمحاق والمحاق: آخر الشهر القمري حيث لا يظهر القمر، وقيل: ثلاث ليالٍ من آخره، أو أن يستمر القمر ليلتين فلا يرى غُدوة ولا عشية.

(٤) النصول: (ج) النصل: حديدة السهم أو الرمح، أو السيف أو السكين. العذار للغلام: جانب لحيته. وخضب شيبه بالحناء: غير لونه.

الباب العاشر

في الدنيا والدهر

من أحسن ما قيل في ذمها قول ابن بسام^(١):

أَوْ مَنْ بِالدُّنْيَا وَأَيَّامِهَا فَإِنَّهَا لِلْحَزَنِ مَخْلُوقَةٌ
غَمُومُهَا لَا تَنْقُضِي سَاعَةً عَنْ مَلِكٍ فِيهَا وَلَا سَوْقَةً^(٢)
يَا عَجَبِي مِنْهَا وَمِنْ شَأْنِهَا عِدْوَةٌ لِلنَّاسِ مَعْشُوقَةٌ

وقول ابن الرومي:

أَتَذْكُرُ لَيْلَةَ الْعَقَتِ فِيهَا وَأَنْتَ وَلَيْدُهَا عَسَلًا وَمَرًّا^(٣)
لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا الدَّهْرُ يَمْسِي وَيُصْبِحُ كُلُّهُ حُلُوءًا وَمَرًّا

ومما يستحسن لأبي الفرج الكاتب قوله:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمَلٍّ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
وَلَا يَغْرُرُكُمْ حَسَنُ ابْتِسَامِي فَقُولِي مَضْحَكٌ وَالْفِعْلُ مَبْكِي

ومن أحسن ما قيل في مدحها قول محمد بن وهب:

وَلَكُنَّا مِنْهَا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا وَمَا كُنْتَ مِنْهُ فَهَوْ شَيْءٌ مُجِيبٌ

ومن أبدع ما جاء في ذمها قول ابن المعتز:

عَجَبًا لِلزَّمَانِ فِي حَالَتِيهِ وَيَلَاءٌ دُفَعْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ
رَبُّ يَوْمٍ بِكَيْثٍ فِيهِ فَلَمَّا صَرْتُ فِي غَيْرِهِ بِكَيْثٍ عَلَيْهِ

ومن قلائد ابن الرومي:

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى الشَّرِيفَ يَحْطُئُهُ شَرْفُهُ
كَالْبَحْرِ يَرْسِبُ فِيهِ لَوْلَاهُ سَفَلًا وَيَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفُهُ^(٤)

(١) هو علي بن محمد بن نصر بن منصور أبو الحسن ابن بسام (٢٣٠ - ٣٠٢ هـ = ٨٤٤ - ٩١٤ م) ويقال له : البسامي ، شاعر هجاء من الكتاب ، عالم بالأدب والأخبار ، من أهل بغداد . نشأ في بيت كتابة ، وتقلد البريد . له كتب منها « أخبار عمر بن أبي ربيعة » و « كتاب المعاقرين » و « مناقضات الشعراء » و « ديوان رسائل » وغير ذلك . الأعلام ٤ / ٣٢٤ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٦٣ ، ووفات الوفيات ٢ / ٨٣ .

(٢) الغموم : (ج) الغَم : الكرب والحزن . السَّوْقَةُ : الرعية من الناس وأوساطهم (ج) سَوَّقَ .

(٣) لعق العسل : لحسه بلسانه أو تناوله بإصبعه .

(٤) رسب في الماء : نزل إلى أسفل . الجيفة : جثة الميت إذا أنتنت .

ومن ملح بعضهم في ذم الزمان:
 نَحْنُ وَاللَّهْ فِي زَمَانٍ غَشُومٍ لَوْ رَأَيْنَاهُ فِي الزَّمَانِ فَرَعْنَا
 أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سَوْءِ حَالٍ حَتَّى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنْ يَهْنَا

الباب الحادي عشر

في الأمكنة والأبنية

من أحسن ما قيل في بغداد^(١):

هِيَهَاتَ بَغْدَادُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِنْدِي وَسَكَانُ بَغْدَادَ هُمُ النَّاسُ^(٢)
 وَقَوْلِ الْآخِرِ فِيهَا أَيْضاً:

سَقَى اللَّهُ بَغْدَادَ مِنْ بَلَدَةٍ حَوَتْ كُلَّمَا لَدَّ لِلْأَنْفَسِ
 وَلَكِنَّهَا مَنِيَّةُ الْمَوْسَرِينَ كَمَا أَنَّهَا حَسْرَةُ الْمَفْلَسِ
 مِنْ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي مَدْحِ مِصْرَ^(٣) قَوْلُ كِشَاجِمٍ:

أَمَا تَرَى مِصْرًا وَقَدْ جُمِعَتْ بِهَا صُنُوفُ الرِّيَاضِ فِي مَجْلِسِ
 السُّوسُنُ الْغَضُّ وَالْبَنْفَسُجُ وَالْ وَرْدُ وَصَفَرُ الْبَهَا وَالنَّرْجِسِ^(٤)
 كَأَنَّهَا الْجَنَّةُ الَّتِي جُمِعَتْ مَا تَشْتَهِيهِ الْعَيُونُ وَالْأَنْفَسِ
 كَأَنَّهَا الْأَرْضُ أَلَيْسَتْ خُلَلًا مِنْ فَاحِرِ الْعَبْقَرِيِّ وَالسَّنْدَسِ^(٥)
 وَمِنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي دِمَشْقَ^(٦) قَوْلُ الصَّنُوبَرِيِّ:

(١) بغداد: عاصمة العراق، على ضفتي دجلة، كانت عاصمة العباسيين أسسها الخليفة المنصور تقاطر إليها ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي بنو بويه والسلاجقة والمغول والتتر والصفويون والعثمانيون. (الرسالة القشيرية ص ٤٤).

(٢) هيهات: اسم فعل بمعنى بَعُدَ. نحو: هيهات ما تريد، أو هيهات لما تريد.

(٣) مصر: دولة عربية إسلامية. تقع في الشمال الشرقي للقارة الإفريقية. يحدها شمالاً البحر المتوسط، وشرقاً فلسطين والبحر الأحمر، وجنوباً السودان، وغرباً ليبيا. (الرسالة القشيرية ص ٣٠٨).

(٤) البهاء: المنظر الحسن الرائع.

(٥) العبقرى: الديباج أو البسط الموشية. (اللسان ٥٣٥/٤ مادة: عبقر).

(٦) دمشق: عاصمة سورية، يرتقي تاريخها إلى خمسة آلاف سنة. كان سكانها الآراميون، ثم غزاها الآشوريون والبابليون والفرس واليونان والرومان. فتحها العرب ٦٣٩م وكانت عاصمة الأمويين، وحضها نور الدين بوجه الصليبيين. أحرقها تيمورلنك ١٤٠٠م، وفتحها السلطان سليم الأول ١٥١٦م. من آثارها الجامع الأموي، وقبر صلاح الدين والقلعة والتكية وقصر العظم. (الرسالة القشيرية ص ٤٠٣).

صَفَّتْ دُنْيَا دَمَشْقَ لِقَاطِنِيهَا فَلَسْتَ تَرَى بِغَيْرِ دَمَشْقَ دُنْيَا
تَفِيضُ جَدَاوِلَ الْبَلُورِ فِيهَا خِلَالَ حَدَائِقِ يَنْبِتْنَ وَشِيَا^(١)
مَكْلَلَةٌ فَوَاكِهَنْ أَبْهَى الْمَنِّ نَظَرَ فِي نَوَاطِرِهَا وَأَهْيَا
فَمِنْ تَفَاحَةٍ لَمْ تَعُدْ خَدَاً وَمِنْ أَتْرَاجَةٍ لَمْ تَعُدْ ثَدْيَا^(٢)
وَمَنْ أَبْدَعَ مَا قِيلَ فِي هَمْدَانِ^(٣) قَوْلَ الْقَائِلِ :

هَمْدَانُ مُتَلَفَةُ النُّفُوسِ بِبَرْدِهَا وَالزَّمْهَرِيرُ وَحَرُّهَا مَأْمُونُ
غَلَبَ الشَّقَاءُ مَصِيفُهَا وَرَبِيعُهَا فَكَأَنَّمَا تَمُوزُهَا كَانُونُ
وَمَنْ الْمَلْحَ فِي مَدِينَةِ هَرَاةِ^(٤) :

هَرَاةُ أَرْضُ خَصْبُهَا وَاسِعٌ وَنَبْتُهَا التَّفَاحُ وَالنَّرْجَسُ
مَا أَحَدٌ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا يَخْرُجُ إِلَّا بَعْدَ مَا يَفْلَسُ
وَمَنْ أَمْلَحَ مَا قِيلَ فِي بَخَارَى :

أَقَمْنَا فِي بَخَارَى كَارِهِينَا وَنَخْرُجُ إِنْ خَرَجْنَا طَائِعِينَا
فَأَخْرَجْنَا إِلَهُ النَّاسِ مِنْهَا فَإِنْ عُذْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَا
وَمَا يَسْتَظِرُّ لِأَبِي الرَّبِيعِ قَوْلُهُ فِي الشَّاشِ :

الشَّاشُ فِي الصَّيْفِ جُئْتُ وَمِنْ أَدَى الْحَرِّ جُئْتُ
لَكِنِّي يَعْتَرِينِي بِهَا لَدَى الْبَرْدِ جُئْتُ
وَمَا قِيلَ فِي الدُّورِ وَالْأَبْنَةِ :

وَمِنْ الْمَرْوَةِ لَلْفَتَى مَا عَاشَ دَارَ فَاخِرَةٍ
فَاقْنَعِ مِنَ الدُّنْيَا بِهَا وَاعْمَلْ لِدَارِ الْآخِرَةِ
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْجَعْفَرِيِّ :

قَدْ تَمَّ حَصْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَلَمْ يَكُنْ لِيَتِمَّ إِلَّا بِالْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ
فِي رَأْسِ مَشْرِفَةٍ حَصَاهَا جَوْهَرٌ وَتَرَائِبُهَا مَسْكٌ يَشَابُ بَعْنَبِرِ^(٥)

(١) البلور: حجر أبيض شفاف.

(٢) الأترجة: واحدة الأترج: شجر من الحمضيات والفصيلة البرتقالية وثماره كبيرة القد، مستطيلة الشكل، ذهبية اللون، ذكية الرائحة، وعصيره حامض، ويُعرف الأترج بليمون القدس (سنسكريتي).

(٣) همذان: مدينة في جنوب إيران، فيها قبر ابن سينا. فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤هـ.

(٤) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. (معجم البلدان ٣٩٦/٥).

(٥) العنبر: من الطيب.

مخضرة والغيث ليس بساكب
ملأث جوانبها السماء وعائقت
وقول بعض شعراء الصاحب (٣):
ومضيئة والليل ليس بمقمر (١)
شرفاتها قطع السحاب الممطر (٢)

دار على العز والتأييد مبناهما
فاليمن أقبل مقروناً بيمنها
لما بنى الناس في دنياك دورهم
ولو رضى مكان القرش أعيننا (٤)
وللمكارم والعليةاء معناها
واليسر أقبل مقروناً بيسراها
بنيت في دارك الغراء دنياها
لم تبق عين لنا إلا فرشتها

وقال مؤلف الكتاب في القصر العالي:

وقصر ملك ترى كل الجمال به
كأنما جئة الفردوس قد نزلت
ومن أحسن ما قيل في انتقال الإمارة من يد إلى يد:
وطالع السعد يبدو من جوانبه
إلى خوارزم تعجلاً لصاحبه (٥)

أقام بصحنها لؤم بن سهل
وكانت جئة فغدت جحيماً
ومن أحسن ما قيل في الأوطان قول ابن الرومي:
وفارق ريعها كرم الحسين
فيا بعد اختلاف الحاليتين

وحبب أوطان الرجال إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
وكان الصاحب يُشد كثيراً (٦):
مارب قضاها الشباب هتالكا
عهد الصبا فيها فحثوا لذلكا

أكرم أخاك بأرض مولده
فالعز مطلوب وملتمس
ومن أحسن ذلك قول بعضهم:
وأمة من فعلك الحسن
وأعزه ما نيل في الوطن

إذا نلت في أرض معاشاً وثروة
فلا تكثر منها النزاع إلى الوطن

(١) الغيث: المطر.

(٢) الشرفة: ما يوضع على أعلى القصر يُحلى به، أو امتداد خارج من البناء يُستشرف منه على ما حوله.

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٢٤٢/٣ من قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمه الصاحب [من البسيط].

(٤) رواية الشطر الأول في يتيمة الدهر ٢٤٢/٣: فلو رضى مكان البسط أعيننا.

(٥) الفردوس: حديقة في الجنة.

(٦) البيتان في يتيمة الدهر ٢٣٦/٣ وهما من الكامل.

فما هي إلا بلدة مثل بلدة
ومن أحسن ما قيل في متزهات الضياع:

شجر مورق وظل ظليل
ورياض تهتز من زهر الرو
ض ومن كل طرفة باكورة
بين نخل وبين كرم وربما
تتغنى الطيور فيها بلحن
أحسن ما سمعت في الماء الجاري قول بعضهم:

وماء على الرضراض يجري كأنه
صفائح تبر قد سبكن جدولا^(٢)
كأن بها من شدة الجري جنة
وقد ألبستهن الرياح سلاسل
وقول أبي فراس في الماء يشق الروض^(٣):

حيث التفت رأيت ما
ء سائحا ورأيت طلا^(٤)
والماء يفصل بين زهر
ر الروض في الشطين فصلا
كبساط وشي جرث
أيدي القيون عليه نصلا^(٥)
وجلس يوماً في البستان والماء يندرج في البرك^(٦):

انظر إلى زهر الربيع
وإذا الرياح جرث عليه
نشرت على بيض الصفا
وقال أيضاً في ذلك^(١٠):

كأنما الماء عليه الجسر
درج بياض فيه سطر

(١) الزعرورة: واحدة الزعرور: شجر مشمر من فصيلة الودديات، ثمره أحمر أو أصفر، له نوى صلب مستدير يملأ أكثر جوفه. وهو من النباتات الجردية الطيبة الغنية بالفيتامين.

(٢) الرضراض: الحصى الصغار في مجاري الماء.

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ١٠٢/١ وهي من الكامل.

(٤) رواية الشطر الثاني في يتيمة الدهر ١٠٢/١: -ء سائحا وسكنت ظلا.

(٥) القيون: جمع قين، وهو الحداد الذي يصنع السيوف.

(٦) الأبيات في يتيمة الدهر ٨٢/١ وهي من الكامل.

(٧) في يتيمة الدهر ٨٢/١: برك.

(٨) في يتيمة الدهر ٨٢/١: وفي.

(٩) في يتيمة الدهر ٨٢/١: خلق.

(١٠) البيتان في يتيمة الدهر ٨١ / ٨٢ وهما من الرجز.

كَأَتْنَا لَمَّا تَهَيَّأَ الْعَبِيرُ أَسْرَةَ مُوسَى يَوْمَ شَقَّ الْبَحْرُ
وَأُنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي حَوْضٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :
حَوْضٌ يَجُودُ بِجَوْهَرٍ مُتَسَلْسِلٍ سَادَ الْجَوَاهِرَ كُلُّهَا بِنَفَاسَتِهِ
لَا زَالَ عَذْبًا جَارِيًا بِبَقَاءِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي جُودِهِ وَسِلَاسَتِهِ
وَقَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ :

أَيَا طَيِّبَ عَيْشِي أَرَى بَرَكَهَ تَشْوُقُ إِلَى رَوْضِهَا مَاءَهَا
إِذَا أَنْتَ وَاجِهَتَهَا فِي الدُّجَى حَسِبْتَ الْكَوَاكِبَ حَصْبَاءَهَا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْحَمَامِ قَوْلَ السَّرِيِّ :
قَدْ أَسْعَدَ الطَّالِبَ مَطْلُوبُ وَفَارَّ بِالْعَزِّ الْمُنَاجِيْبُ
فَقُمْ بِنَا نَنْعَمُ فِي مَنْزِلٍ نَعِيْمُهُ الذَّائِبُ مُحِبُوبُ
بَيْتُ بَنِيهِ حُكْمَاءُ الْوَرَى فَهُوَ إِلَى الْحِكْمَةِ مَنْسُوبُ
مَجَاوِرُ السَّنَارِ وَلَكِنَّهُ يَجَاوِرُ الرُّوحَ بِهِ الطَّيِّبُ
طَابَ قَلْبُورُذُ شَبَابٍ أَمْرِيءِ لَارْتَدَّ شَبَابًا بِهِ الشَّيْبُ
وَقَوْلُ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ :

وَحَمَامٌ لَهُ حُرُّ الْجَحِيمِ وَلَكِنْ دَابُّهُ رُوحُ النَّسِيمِ
رَأَيْتُ بِهِ ثَوَابًا فِي عَذَابٍ وَذُقْتُ بِهِ نَعِيمًا فِي جَحِيمِ

الباب الثاني عشر

في الطعاميات

وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِقْلَالِ مِنَ الطَّعَامِ قَوْلُ ابْنِ (١) الْعَلَّافِ (٢) :

لَا بَارَكَ اللَّهَ فِي الطَّعَامِ إِذَا كَانَ هَلَكَ النَّفْسُ فِي الْمَجْدِ (٣)

(١) هو الحسن بن علي بن أحمد النهرواني (٢١٨ - ٣١٨ هـ = ٨٣٣ - ٩٣٠ م) أبو بكر، ابن العلاف شاعر عاش في بغداد، ونامد بعض الخلفاء وكف بصره، وهو صاحب القصيدة في رثاء الهر. الأعلام ٢/ ٢٠١، وغاية النهاية ١/ ٢٢٢، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٧٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٧.

(٢) البيتان في وفيات الأعيان ٢/ ١١٠ - ١١١.

(٣) في وفيات الأعيان ٢/ ١١٠ : المعد.

كَمْ دَخَلْتُ أَكْلَةً^(١) حَشَاشَةً فَأَخْرَجْتُ رَوْحَهُ مِنْ الْجَسَدِ
وقول أبي الفتح البستي:
كُلُّ قَلِيلًا تَعِشْ طَوِيلًا وَتَسْلَمْ مِنْ عَوَادِي الْأَسْقَامِ وَالْأَدْوَاءِ
إِنَّمَا يَغْتَنِي الْكَرِيمُ لِيَبْقَى وَيَقَاءَ السَّفِيهِ لِلْإِغْتَدَاءِ
سُئِلَ أَحَدُ الصُّوفِيَّةِ^(٢) عَنْ أَشْعَرِ النَّاسِ فَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ لِقَوْلِهِ:
رَأَيْتُ بَيُوتًا زُيِّنَتْ بِنَمَارِقٍ وَزُيِّنَ مَنْ فِيهِنَّ بِالْوُشِيِّ وَالطَّرِزِ^(٣)
فَلَمْ أَرِ دِيْبَاجًا وَلَمْ أَرِ سُنْدَسًا بِأَحْسَنِ فِي دَارِ الْكَرِيمِ مِنَ الْخَبِزِ
وَأَنْشَدَ أَبُو طَالِبِ الْمَأْمُونِي لِنَفْسِهِ^(٤):
وَالِي كَمْ يَكُونُ بِالْخَلِّ فَادِمِي^(٥) وَقَلِيلٌ مِنَ الْبَقُولِ يَسِيرُ^(٦)
هَاتِ أَيْنَ الْكَبَابُ^(٧) أَيْنَ الْقَلَايَا^(٨) أَيْنَ رَخْصُ الشَّوَاءِ أَيْنَ الْفَطِيرُ^(٩)
أَنَا لَا أَتْرُكُ الْبَذْنَجَانَ وَالْبَطْ يَخُ وَالْتَيْنَ أَوْ يَكُونُ النُّشُورُ^(١٠)
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي الْفَالُودِجِ^(١١) قَوْلُ السَّرِيِّ:
وَأَحْمَرُ^(١٢) مَبِيضُ الزَّجَاجِ كَأَنَّهُ رِءَاءُ عُرُوسٍ مُشْرَبٍ بِخَلْقٍ
لَهُ فِي الْحَشَا بَرْدُ الْوَصَالِ وَطِيبُهُ وَإِنْ كَانَ يَلْقَاءُ بِلُونٍ حَرِيقِ

- (١) في وفيات الأعيان ١١١/٢: لقمة.
(٢) الصوفية: التصوف: هو علم تُعرف به أحوال تزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية، فموضوعه (التزكية والتصفية والتعمير). والصوفي: من سلك طريق التصوف، وصفى قلبه ليدرك الحقائق الإلهية بطريق الحدس والإلهام، وأشهر الآراء في تسميته أنه كان يفضل لبس الصوف نقشفاً (ج) صوفية.
(٣) النمارق: (ج) الثمرق: الوسادة الصغيرة، أو الوسادة الصغيرة يجعلها الراكب تحته على الرُّحْل.
(٤) الأبيات في يتيمة الدهر ٢١٣/٤ وهي من الخفيف.
(٥) رواية الشطر الأول في يتيمة الدهر ٢١٣/٤:- وإلي ما يكون أدمي خلُ
(٦) الأدم: الطعام.
(٧) الكباب: اللحم المُشْرِح يُشْوَى على الجمر.
(٨) القلايا: (ج) القلّة: ما يُقْلَى من الطعام ونحوه.
(٩) في يتيمة الدهر ٢١٣/٤: القدير.
(١٠) رواية البيت في يتيمة الدهر ٢١٣/٤:
- أنا لا أترك التديخ ولا البَطْ طَيِّخُ والتين أو يكون النُّشُورُ
(١١) الفالودج: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل، وتُصنع الآن من النشاء والماء والسكر.
(١٢) الأبيات في يتيمة الدهر ٢١٢/٢ وهي من الطويل.
(١٣) في يتيمة الدهر ٢١٢/٢: بأحمر.

كَأَنَّ بَيَاضَ اللُّوزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ لَاحَتْ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ
وَأَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي الْخَبِيصِ^(١) قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ^(٢) :
خَبِيصَةٌ فِي الْجَامِ قَدْ قَدِّمْتُ مَوْفُونَةٌ^(٣) فِي اللُّوزِ وَالسُّكَّرِ^(٤)
يَأْكُلُ مَنْ يَأْكُلُهَا جَمَةً بِكَفِّهِ فِيهَا وَلَمْ يَشْعُرِ
وَحُضِرَ جَحْظَةٌ^(٥) صَدِيقًا لَهُ فَقَدِمَ إِلَيْهِ مُضِيرَةٌ^(٦) بَعْصِيبٍ^(٧) فَلَمْ تَوَافِقْهُ وَلَمْ يَتَّبِعْهَا
بِمَا يَدْفَعُ مُضَرَّتَهَا فَقَالَ^(٨) :

وَلِي صَاحِبٌ لَا قَدَسَ اللَّهُ رَوْحَهُ وَكَانَ مِنَ الْخَيْرَاتِ غَيْرَ قَرِيبٍ
أَكَلْتُ عَصِيبًا^(٩) عِنْدَهُ فِي مُضِيرَةٍ فَيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ عَصِيبٍ^(١٠)
وَمَا يُسْتَحْسَنُ لِلْمَأْمُونِ قَوْلُهُ :

قَدِّمُ طَعَامَكَ وَابْذُلْهُ لِمَنْ دَخَلَ وَاحْلِفْ عَلَى مَنْ أَبَى وَاشْكُزْ لِمَنْ أَكَلَا
وَلَا تَكُنْ سَابِرِي الْعَرَضِ مُحْتَشِمًا مِنَ الْقَلِيلِ فَلَسْتَ الدَّهْرُ مُخْتَفِلًا
وَقَوْلُ الْآخِرِ فِي تَرْكِ التَّحْمِيدِ فِي وَسْطِ الْأَكْلِ :

وَحَمْدُ اللَّهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي وَقْتِ الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تَزْجُرُ الْأَضْيَافَ عَنْهُ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ

(١) الخبيص: حلواء تُصنع بالتمر والسمن.

(٢) البيتان في يتيمة الدهر ٢١١-٢١٢ وهما من السريع.

(٣) في يتيمة الدهر ٢٢١/٤: مدفونة.

(٤) الجام: إثناء للشراب والطعام من فضة ونحوها، وقد غلب استعماله في قدح الشراب (ج) جامات.

(٥) هو أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك (٢٢٤- ٣٢٤هـ = ٨٣٩- ٩٣٦م) أبو

الحسن، نديم أديب مغن، من بقايا البرامكة، من أهل بغداد. كان في عينيه نتوء فلقيه ابن المعتز بجحظة، فلزمه اللقب، كان كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم كاللغة والنجوم، مليح الشعر، حاضر النادرة، عازفاً بالموسيقى. صنف كتاباً قليلة منها «المشاهدات» و«أخبار الطنبوريين» وله ديوان شعر، ولادته في بغداد ووفاته في جيل.

الأعلام ١٠٧/١، ومعجم الأدباء ٣١٤/١، ولسان الميزان ١٤٦/١، ووفيات الأعيان ١٣٣/١ والأغاني ٧/١.

(٦) المضيرة: طعام يطبخ باللبن المضير، أي الحامض.

(٧) العصيب: يقال لأمعاء الشاة إذا طويت، وجمعت، ثم جعلت في حويرة من حوايا بطنها: عُصِبَ واحداها عُصِب. والعصيب من أمعاء الشاة: ما لوي منها، والجمع أعصية وعُصِب. والعصيب: الرثة تُعَصَّب بالأمعاء فتشوى. (لسان العرب ٦٠٤/١ مادة: عصب).

(٨) البيتان في معجم الأدباء ٣٢٦/١ وهما من الطويل.

(٩) في معجم الأدباء ٣٢٦/١: عصيداً.

(١٠) يوم عصيب: شديد الحر.

وتؤذِبُهُمْ وما شَبِعُوا بشبِعِ وذلكَ ليسَ مِنْ خَلْقِ الكَرامِ
وأحسَنَ ما قِيلَ في إكرامِ الضيفِ قولَ المحدثِ:

وكونُوا خَدَمَ الضيفِ إذا الضيفُ بِكُمْ يَنزَلُ
وكونُوا عِنْدَ الأضيافِ فِ والضيفُ لَهُ المَنزَلُ
وقول بعضهم في الهشاشة^(١) للضيف:

أُضاحِكُ ضيفي قَبْلَ إنزالِ رَحْلِهِ لينزَلَ عِندي والمحلُّ جَدِيبُ^(٢)
وَمَا الخصبُ للأضيافِ أَنْ تَكثُرَ القُرَى ولكُنا وَجَهُ الكَريمِ خَصِيبُ^(٣)
ومن أحسنَ ما قِيلَ في إكرامِ مطيئة^(٤) الضيف:

مَطيئةُ الضيفِ عِندي مِثْلُ صَاحبِها لا أَكرُمُ الضيفَ حَتى أَكرُمُ الفَرَسا
ومما قِيلَ في ذمِ البخلِ:

إني لأَصبِرُ إلى البَيضِ الحِسانِ كما تصبِرُ قَدورُ أبي عَمروٍ إلى المَرَقِ^(٥)
الجَوْعُ أرَقَنِي لَمَّا نَزَلْتُ بِهِ فَكَذْتُ أَتَلَفُ بَيْنَ الجَوْعِ والأَرَقِ^(٦)
ولآخر:

جئتُه زائِراً فَقالَ لي البـ وَاب: صَبِراً فَإِنَّه يَتَغَذى
ومن أَمْلَحَ ما قِيلَ في ذمِ الطفيلي^(٧) قولَ السلمي:

لَوْ طَبَخْتَ قَدِرَ بِمَظْمُورَةٍ بِالشامِ أو أَقْصَى حَدودِ الثُغُورِ^(٨)
وَأنتَ بِالصَّيْنِ لَوافِيَتِها يا عالَمَ الغيبِ بما في القَدُورِ
وقول الآخر:

يا وارثَ التَطفيلِ عَن والدِ أَحكمهُ بِالدُوقِ والحَذَقِ

(١) الهشاشة: الارتياح والخفة للمعروف، أو البشاشة، والبشر.

(٢) الرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير أو الناقة لركوب الرجال. أو ما يستصحبه الراكب من متاع. جَدِب: المكان: يَكْسُ لاحتباس المطر فهو جَدِب وجديب.

(٣) القُرَى: ما يَقْدَمُ إلى الضيف.

(٤) المَطيئة: الدابة يُركب ظهرها (ج) مطايا ومطي.

(٥) صبا إليه: حَنّ وتشوق. القَدُور: (ج) القَدَر: إناء يُطبخ فيه. المَرَق: الماء الذي أغلي فيه اللحم فصار دسماً.

(٦) الأرق: امتناع النوم ليلاً.

(٧) الطفيلي: الذي يغشى الولائم والمجالس ونحوها بلا دعوة.

(٨) المَظْمُورَة: الحفيرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب (ج) مطامير.

تَأْكُلُ أَرْزَاقَ بَنِي آدَمَ هَلْ أَنْتَ مَخْلُوقٌ بِلا رِزْقِ

الباب الثالث عشر

في النساء والتشبيب

ومن أحسن ما قيل في مدح النساء قول بعضهم:

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَّاحِينَ خُلِقْنَ لَكُمْ وَكُلُّكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ

وأحسن منه قول الآخر:

فَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا وَهُنَّ بَنَاتُهَا وَعِيشُ بَنِي الدُّنْيَا لِقَاءَ بَنَاتِهَا

ومن أحسن ما قيل في ذمهن:

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا مِنْهِنَّ مَرٌّ وَبَعْضُ الْحَرِّ مَأْكُولُ

إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْنَ عَنْ خَلْقِ فَلِئِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَّ مَفْعُولُ

ومن أحسن ما قيل في أخلاق النساء قول^(١) علقمة^(٢):

وَلَا تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَبِيرٌ^(٣) بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهَنْ نَصِيبُ

ولأبي تمام في هذا المعنى:

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُوداً

ومن أحسن ما جاء في هذا الباب قول بعضهم:

إِذَا هُنَّ قَابِلْنَ نَوْرَ الْمَشِيبِ أَدْبَرْنَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ نُوراً

وَلَوْ هُنَّ قَابِلْنَ نَوْرَ الْخَضَابِ أَعْرَضْنَ عَنْ ذَلِكَ الزُّورِ زُوراً

ولأبي تمام في سوء عهدهن:

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْعِذْرُ وَحُدُّهَا سَجِيَّةَ نَفْسٍ كُلِّ غَانِيَةٍ هِنْدُ

(١) هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس (توفي نحو ٢٠ ق هـ = نحو ٦٠٣ م) من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس، وله معه مساجلات. له ديوان شعر.

الأعلام ٢٤٧/٤، وخزانة البغداد ١/ ٥٦٥-٥٦٦، ومعهاد ١/ ١٧٥، والشعر والشعراء ص ١٢٥ والأغاني ٢١/ ٢٠٥.

(٢) البيتان في الشعر والشعراء ص ١٢٦.

(٣) في الشعر والشعراء ص ١٢٦: بصير.

من أحسن ما قيل في غزلهن قول المؤمل^(١):

شكوت ما بي إلى هندٍ فما اكَتَرْتُ
يا قلبها أحديداً أنت أم حجرٌ
إذا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ
وتذنبونَ فنأتِيكُمْ ونعتذر^(٢)
وقول بعضهم:

وقفَ الهوى بي حيثَ أنتَ فليسَ لي
أجدُ الملامَةَ في هواكَ لذيدةٌ
أشبهتُ أعدائيَ فصرتُ أحبُّهم
إذ كانَ حظِّي منكَ حظِّي منهمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً
وما مِن يهونَ عليكَ ممَّن يكرمُ
وقول العباس بن الأحنف^(٣):

أخرمَ منكم بما أقولُ وقد
نال به العاشقونَ من عشقوا
صِرتُ كأنني ذبالةٌ نُصِبتُ
تُضيءُ للناسِ وهي تحترقُ^(٤)
أحسن ما قيل في شعر المرأة:

فرعاء تسحبُ من قِيامِ شعرِها
وتغيبُ فيه وهو شعرُ أسحمٍ^(٥)
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ
وكأنه ليلٌ عليها مظلمٌ
وقول عبدالله بن طاهر:

سَقَتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرِها
شبيهةٌ خديها بغيرِ رقيبِ
فما زلتُ في ليلينِ شعرٍ ومن دُجى
وشمسَينِ من راحٍ وخدٍ حبيبِ
وما أحسن ما قال البحتري:

غداةً تَثْنُتُ للوداعِ وَسَلَّمَتْ
بعينينِ موصولٍ بأجفانِها السحرُ

(١) هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي (توفي نحو ١٩٠هـ = نحو ٨٠٥م) شاعر من أهل الكوفة. أدرك العصر الأموي. واشتهر في العصر العباسي، وكان فيه من رجال الجيش. وانقطع إلى المهدي في خلافته وبعدها، عَمِيَ في أواخر عمره.

الأعلام ٣٣٤/٧، وإرشاد الأريب ١٩٥/٧، وتاريخ بغداد ١٧٧/١٣، وخزانة الأدب ٥٢٣/٣، والأغاني ٢٤٧/٢٢، ومعجم الأدباء ٥٣٨/٥، ومعجم الشعراء ص ٢٦٧.

(٢) هذا البيت في الأعلام ٣٣٤/٧، والأول والثاني في معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٦٧.

(٣) البيتان في الشعر والشعراء ص ٥٦١.

(٤) الذبالة: الفتيلة.

(٥) الفَرْغُ: الشَّغْرُ التام. والفارعة من النساء: الطويلة الشعر. سَجَمَ الشيء: اسودَّ. فهو أسحم وهي سحماء.

توهمتُها ألوى بأجفانِها الكرى كرى النومِ أو مالت بأعطافِها الخمرُ
ومما يقطرُ منه ماءُ الظرفِ قولُ كشاجم:

يا مَنْ لأجفانٍ قريحه سَهَّدَتْ لأجفانٍ مليحة
لَمْ تتركِ المُقلَّ المريد ضةً في جارحةٍ صحيحة

ولم أسمع في هذا المعنى أحسن من قول أبي العشائر في المذكور:
للعبدِ مسألةٌ إليك جوابُها إن كنتَ تذكره فهذا وقته
ما بالَ ريقك ليسَ ملحاً طعمه ويزيدني عطشاً إذا ما دُقَّتْهُ
وقول مؤلف الكتاب:

ثغرُ كمثلِ البرقِ حسنُ بريقه يشفي عليلَ المستهامِ بريقه
قد بثَ الثمه وأرتشفُ المُنَى من ثغره وعقيقه ورحيقه
وما أحسن قول الآخر:

هي الخمرُ في حسنِ بلِ الخمرِ ريقُها ورقةُ ذاكَ اللونِ في رقةِ الخمرِ
فقد جمعتُ فيها خموراً ثلاثة وفي واحدٍ سكرٌ يزيدُ على السكرِ
وقول ابن سكرة^(١):

الخدُّ وردُّ، والصدغُ غاليةُ والرَّيقُ خمرٌ، والثغرُ من بردٍ^(٢)
لكلِّ جزءٍ من حسنِها بدعُ تودعُ قلبي روائعُ^(٣) الكمدِ^(٤)
وقول أبي نواس:

يا قمرأ أبصرتُ في مآتمِ يندبُ شجواً بينَ أترابِ
يبكي فيلقى الدُّر من نرجسِ ويلطمُ الزردُ بعُئابٍ^(٥)
وقول أبي الفرج^(٦):

قالتَ وقد فتكتَ فينا لواحظُها أَلَمْ يَكُنْ لقتيلِ الحبِّ من قودٍ^(٧)؟

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٨/٣ وهما من المنسرح.

(٢) الغالية: أخلاط من الطبيب.

(٣) في يتيمة الدهر ٨/٣: بدائع.

(٤) الكمد: الحزن.

(٥) العُئاب: ثمر شجر شائك من الفصيلة السدرية، أحمر، حلو لذيق الطعم، له نواة.

(٦) البيتان في يتيمة الدهر ٣٣٧/١ وهما من البسيط.

(٧) رواية الشطر الثاني في يتيمة الدهر ٣٣٧/١: - كم ذا؟ أما لقتيلِ الحب من قود؟ القود: القصاص.

وأَمَطَرَتْ^(١) لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَرَدًا، وَعَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ^(٢)
ومن ملح إبراهيم بن المهدي قوله:
أَنْتِ تَفَاحَتِي وَفِيكِ مَعَ التَّفَاحِ رَمَانَتَانِ فِي غَضَنِ بَانٍ
وَإِذَا كُنْتَ لِي وَفِيكِ الَّذِي فِيهِ لِكِ فَمَا حَاجَتِي إِلَى الْبَسْتَانِ
وقول بعض المحدثين:
هِيَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّ فِيهَا لِحُسْنِهَا رَقَائِثُ لَيْسَتْ فِي هَلَالٍ وَلَا بَكْرٍ
وَتَنْظُرُ فِي وَجْهِ الْقَبِيحِ بِحُسْنِهَا فَتَكْسُوهُ حَسَنًا بَاقِيًا آخَرَ الدَّهْرِ
ومن أحسن ما قيل في الثدي قول بعضهم:
كَأَنَّ الثُّدْيَ إِذَا مَا بَدَتْ وَزَانَ الْعَقُودَ بِهِنَّ النُّحُورُ^(٣)
حَقَاقٌ مِنَ الدَّرِّ مَكْنُوءَةٌ يَسْفَنُ مِنَ الدَّرِّ شَيْئًا يَسِيرًا
وقال ابن الرومي وأبدع:
صَدُورٌ فَوْقَهُنَّ حَقَاقٌ عَاجٍ وَدُرٌّ زَائِلُهُ حَسَنٌ اتِّسَاقٍ
يَسْقُورُ الْقَائِلُونَ إِذَا رَأَوْهُ أَهَذَا الْحَلِيِّ مِنْ تِلْكَ الْحَقَاقِ
وكان الأستاذ الطبري يطرب على قول السري^(٤):
وَمِنْ وَرَاءِ سَجُوفِ الرِّقَمِ شَمْسٌ ضُحَى تَجُولُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ مَظْلِمٍ دَاجِي
مَقْدُودَةٌ خُرْطَتْ أَيْدِي الشَّبَابِ لَهَا حَقَّيْنِ دُونَ مَجَالِ الْعَقْدِ مِنْ عَاجٍ
ومما يُستحسن في وصف الثدي قول المهلبى الوزير:
أَقَاتَلْتِي بَانَكَسَارِ الْجَفُونِ وَمَسْتَوْفِزِينَ عَلَى مَعْصَرِ
كَحَقَّيْنِ مِنْ لَبٍّ كَافُورَةٍ بِرَأْسَيْهِمَا نُقْطَتَا عُنْبَرِ
ومن الإفراط في وصف العجيزة^(٥) قول المؤمل:
مَنْ رَأَى مِثْلَ غَادَتِي تَشْبَهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَا^(٦)

(١) في يتيمة الدهر ٣٣٧/١: وأسبلت.

(٢) العناب: يقصد بها الشفاه، والبرد يقصد بها الأسنان.

(٣) النحور: (ج) الثَّخَرُ: أعلى الصدر، وموضع القلادة منه.

(٤) البيتان في يتيمة الدهر ١٨٦/٢ وهما من البسيط.

(٥) العجيزة: مؤخر المرأة خاصة.

(٦) الغادة: الفتاة الناعمة اللينة.

قول دعبل^(١) في هجاء النساء:

صدغاكِ قَدْ شَمَطَا ونَحْرُكِ بارِزٌ والصدْرُ منكِ كَجَوْجُوِ الطنبُورِ^(٢)
يا مَنْ معانِقُها يَبِيْتُ كائُهُ في مجلسٍ صعبٍ وفي ساجورِ^(٣)
قَبْلَتْها فوجدتُ لدَعَةً ريقها فوقَ اللسانِ كلدغَةَ الزنبورِ^(٤)

ولابن الرومي في كثيرة:

فقدْتُكِ يا كثيرةً كُلَّ فَقْدٍ وذقتُ الموتَ أَوَّلَ مَنْ يَموتُ
فَقَدْ أُوتِيتِ رَحْبُ فَمٍ و...^(٥) كَأَنَّكِ مِنْ كَلَا طَرْفِيكِ حَوْتِ

الباب الرابع عشر

في الغزل المذكر

مما يستظرف في التمتع بالمرء قول بعضهم:

جُعِلْتُ فِدَاكَ ما اخترناكَ إلَّا لأنَّكَ لا تحيِضُ ولا تبيِضُ
ولو ملنا إلى وصلِ الغواني لضاقَ بنسِلِنَا البلدُ العريضُ

قال مؤلف الكتاب من أحسن ما سمعت في الغلام الصغير:

قالوا عشقتُ صغيراً قلتُ أرتع في روضِ المحاسنِ حتى ينعَ الثمرُ^(٦)
ربيعُ حسنٍ دعاني لافتتاحِ هوى لمَّا تفتَحَ منه النورُ والزهرُ

(١) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٦ هـ = ٧٦٥ - ٨٦٠ م) أبو علي، شاعر هجاء، أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد، وكان صديق البحتري، وصنف كتاباً في «طبقات الشعراء». توفي ببلدة تدعى الطيب، وكان طوالاً ضخماً أطروشاً. له «ديوان شعر».

(٢) الأعلام ٣٣٩/٢، ومعاهد ٩٠/٢، وتاريخ بغداد ٣٨٢/٨، والشعر والشعراء ص ٥٧٦، والأغاني ٢٠/ ١٣١ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦٦.

(٣) الجَوْجُو من الطائر والسفينة: صدرهما (ج) جَاجِيء. الطنبور: من آلات الطرب، ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس (ج) طنابير.

(٤) الساجور: طوق يُعلق في عنق الكلب.

(٥) الرُّنْبُور: جنس حشرات من فصيلة الزنبوريات. أنواعه عديدة منها الزنبور الكبير (الدبور) وهو كبير القَد واسع الانتشار، يلسع الإنسان إن ضايقه ولسعته مؤلمة مؤذية (ج) زناير.

(٦) يَبِاضُ في الأصل.

(٦) يَنَعُ الثمر: أدرك ونضج وحن قطافه.

وأظرف ما قيل في الجارية الصغيرة قول بعضهم :

قَالُوا عَشَقْتُ صَغِيرَةً فَأَجَبْتُهُمْ أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُزَكِّبِ
كَمْ بَيْنَ حَبَّةٍ لَوْلُؤٍ مَشْقُوبَةٍ نُظِمَتْ وَحَبَّةٍ لَوْلُؤٍ لَمْ تَشَقِّبِ
ولبعض الجواري^(١) في مناقضته :

إِنَّ الْمَطَايَا لَا يَلْذُ رَكُوبُهَا حَتَّى تَذَلَّ بِالزَّمَانِ وَتُرَكَّبَا
وَالدَّرُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَصْحَابُهُ حَتَّى يَعَالَجَ بِالسَّمُوطِ وَيُثَقِّبَا^(٢)

ومن أحسن ما قيل قول الصنوبري في غلام يكتب :

انْظُرْ إِلَى أَثَرِ الْمَدَادِ بِخَدِّهِ كَيْنَفْسُجِ الرُّوضِ الْمَشُوبِ بِوَرْدِهِ
مَا أَخْطَأَتْ لَامَاتِهِ مِنْ صَدْغِهِ شَيْئاً وَلَا أَلْفَاتِهِ مِنْ قَدِّهِ
وَكَأَنَّمَا أَنْفَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَكَأَنَّمَا قَرطَاسُهُ مِنْ جِلْدِهِ^(٣)

وقوله فيه أيضاً :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْخَنْجَرَ الْقَلَمُ مِنْ قَبْلِ هَذَا وَلَا أَنَّ الْمَدَامَ دُمٌ
حَتَّى كَتَبْتُ فَمَا أَبْقَيْتُ جَارِحَةً إِلَّا وَفِيهَا عَلَى مَقْدَارِهَا أَلَمٌ
يَا كَاتِباً جَرَحْتَ رُوحِي كِتَابَتُهُ وَالْجَرَحُ فِي الرُّوحِ جَرَحٌ لَيْسَ يَلْتَنِمُ
أَذْهَبَ فَحَقُّ أَمِيرٍ أَنْتَ كَاتِبُهُ أَنْ لَا يَقُومَ لَهُ عَرَبٌ وَلَا عَجَمٌ

وقول كشاجم فيه :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْشِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطاً يَواصِلُ مَحْوَهُ بِرِضَابِهِ^(٤)
فَوَدِدْتُ أَتِي فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةً وَوَدِدْتُ أَلَا يَهْتَدِي لِصَوَابِهِ

وقول آخر :

وَدِدْتُ أَنِّي بِكَفِّهِ قَلَمٌ وَلَيْتَنِي مِدَّةٌ عَلَى قَلَمِهِ
يَكْتُبُ بِي تَارَةً وَيَلْثَمُنِي إِذَا تَعَلَّقْتُ شَعْرَةً بِفَمِهِ

ولأبي الفتح البستي في من يتكلم بالنحو^(٥) :

(١) الجواري : (ج) الجارية : السفينة . أو الأمة المملوكة .

(٢) السموط : (ج) السمط : الخيط ما دام الخرز ونحوه منظوماً فيه ، أو القلادة .

(٣) الأنقاس : (ج) النّفس : المداد يكتب به . القرطاس : الصحيفة التي يكتب فيها .

(٤) الطّرس : الصحيفة (ج) طروس وأطراس .

(٥) الأبيات في يتيمة الدهر ٣٥٧/٤ وهي من البسيط .

بلفظه^(١) فاجتنيثُ الشَّهَدَ مِنْ شَفْتِهِ
مَحْقَقاً لِيرِينِي فَضْلاً مَعْرِفَتِهِ
مِنْ صَفْتِي وَالتَّصَبُّ مِنْ صَفْتِهِ

وَمَاتَ خَطُّ جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ حَسَدِهِ
حَتَّى ثَنَى مِنْ عِنَانِ الْكِبَرِ خَطُّ يَدِهِ

وَقَلْبِي مِنْهُمَا دَنَفٌ جَرِيحٌ^(٤)
وَخَطُّ كِتَابِهِ دُرٌّ يَلُوحُ

يَخْجَلُ الْبَدْرُ طَالِعاً بِالسَّعُودِ
حِينَ أَوْمَى بِوَجْهِهِ لِلْسَّجُودِ

قَتِيلُ الْهَوَى لَوْ زَرْتَنِي كَانَ أَجْدَرَا
فَلَيْتَكَ لَا تَحْجُبُ وَلَا تَقْتُلُ الْوَرَى
مِمَّا قِيلَ فِي غَلَامٍ مَحْرَمٍ قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِيِّ^{(٥)(٦)}:

يَرَى قَتْلَ مَنْ يَهْوَاهُ لِلنَّسكِ مَسْلُكاً^(٧)
فَيَقْضِي وَلَا يَقْضُونَ لِلْحَجِّ مَسْكَاً^(٨)
وَمِنْ عَارِضِيهِ يَاسْمِيناً مَمْسُكاً^(٩)

أَفْدَى الْغَزَالَ الَّذِي فِي النَحْرِ كَلَّمْنِي
وَأَوْرَدَ الْحَجَّجَ الْمَقْبُولَ شَاهِدُهَا
ثُمَّ افْتَرَقْنَا عَلَى أَمْرِ^(٢) رَضِيْتُ بِهِ فَالْرَفْعُ^(٣)
وَلِبَعْضِهِمْ فِي غَلَامٍ حَسَنٍ الْخَطِينَ:

لَمَّا تَكَبَّرَ خَطُّ الْحَبْرِ فِي يَدِهِ
بَدَأَ مِنَ الْحَسَنِ خَطُّ فِي عَوَارِضِهِ
وَلَاخِرُ فِيهِ أَيْضاً:

كِلَا الْخَطِينِ مِنْ حَبِّي مَلِيحٌ
فَخَطُّ عَذَارِهِ مَسْكٌ يَفُوحُ
وَقِيلَ فِي غَلَامٍ يَصْلِي:

جَاءَ يَسْعَى إِلَى الصَّلَاةِ بِوَجْهِ
فَتَمَنَيْتُ أَنَّ وَجْهِي أَرْضُ
وَقِيلَ فِي غَلَامٍ حَاجٍ:

أَيَا زَائِرَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَتَارِكِي
تَحُجُّ اِكْتِسَاباً ثُمَّ تَقْتُلُ عَاشِقاً
مِمَّا قِيلَ فِي غَلَامٍ مَحْرَمٍ قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِيِّ^{(٥)(٦)}:

وَمَشْتَمَلِ ثَوْبِي عَفَافٍ وَفَتْنَةٍ
إِذَا طَافَ بِالْأَرْكَانِ طَافَ بِهِ الْوَرَى
جَنَى اللَّحْظِ مِنْ خَذِيهِ وَرَدّاً مَعْنِبراً^(٩)

(١) في يتيمة الدهر ٣٥٧/٤: مناظراً.

(٢) في يتيمة الدهر ٣٥٧/٤: رأي.

(٣) في يتيمة الدهر ٣٥٧/٤: والرفع.

(٤) الدنف: المرض الملازم.

(٥) أبو طالب الرقي: إنه أحد المقلين المحسنين، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم. (يتيمة الدهر ٣٤٦/١).

(٦) الأبيات في يتيمة الدهر ٣٤٦/١ و٣٤٧ وهي من الطويل.

(٧) رواية الشطر الثاني في يتيمة الدهر ٣٤٦/١: يرى قتل من يهوى إلى النسك مسلماً.

(٨) المنسك: فرض من فروض الحج.

(٩) في يتيمة الدهر ٣٤٧/١: موزداً.

(١٠) الممسك: المشروب بالمسك.

فيا رائحاً منه بأوفر فتنة تجهز لعام بعد هذا لعلكا
ومما قيل في غلام غاز قول أبي الفرج^(١) :

يا غازياً أتت الأحزانُ غازیةً إلى فؤادي والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماء الزوم فارمهم بسهم عينك يقتل كل من برزا
ومما قيل في غلام منازل :

منازل في غاية الحذق فاق حساؤ الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه بالبدر إذ يلعب بالبرق
وكما قيل في غلام بيده صولجان قول مؤلف الكتاب :

وصولجان بيدي شادين لا يجسر العاشق أن يذكره
وصولجان المسك من صدغه متخذ حبة قلبي كره
من أظرف ما قيل في غلام فارسي قول محمد بن عبد الملك^(٢)^(٣) :

راح علينا راكباً طرفه أغيد مثل الرشأ الأنس^(٤)
كأنه من تيهه طاهر حين سطا بالملك السادس
كم قلت إذ مر بنا فارساً يا ليتني خادم ذا الفارس^(٥)
ومما قيل في غلام بيده باشق^(٦) :

مر بنا في كفه باشق فيه وفي الباشق شيء عجيب

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٣١٩/١ وهما من البسيط.

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة (١٧٣-٢٣٣هـ = ٧٨٩-٨٤٧م) أبو جعفر المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب، من بلغاء الكتاب والشعراء. نشأ في بيت تجارة في الدسكرة (قرب بغداد) ونبح، فتقدم حتى بلغ رتبة الوزارة، وعول عليه المعتصم في مهام دولته، وكذلك ابنه الواثق. مات في بغداد، وله ديوان شعر.

الأعلام ٦/٢٤٨، ووفيات الأعيان ٢/٥٤، وتاريخ بغداد ٢/٣٤٢، والأغاني ٢٣/٥١.

(٣) الأغاني ٢٣/٦٨.

(٤) الرشأ: ولد الظبية إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه.

(٥) رواية البيت في الأغاني ٢٣/٦٨ :

- أقول لما أن بدا مقبلاً يا ليتني فارسُ ذا الفارس

(٦) الباشق: طائر من الجوارح، من فصيلة العقاب النسرية، أصغر من البازي، يشبه الصقر ويتميز بجسم طويل ومنقار قصير باذي التقوس، وجناحه قصير، وذيله طويل مستقيم الطرف وساقه طويلة مزودة بمخالب حادة، والجزء العلوي من الجسم ذو لون أزرق (أردوازي) حالك في الذكر ويغلب عليه اللون البني في الأنثى (ج) بواشق.

ذَاكَ يَصِيدُ الطَّيْرَ مِنْ حَالِقٍ وَذَا بَعَيْنِيهِ يَصِيدُ الْقُلُوبَ^(١)
 وَمَا قِيلَ فِي غَلَامٍ تَرْكِي:
 الْبَدْرُ فِي ظِلِّ الْغَمَامَةِ وَالنُّقَا فِي سَرْجِهِ وَالْغَصْنُ فِي الْخَفْقَانِ^(٢)
 حَيْثُهِ وَلَعًا فَأَمْطَرَ رَاحَتِي قُبْلًا فَلَيْتَ فَمِي مَكَانَ بَنَانِي
 وَرَمَى بِلِحْظِيهِ الْفَوَادَ وَسَهْمُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَشَابَهَ السَّهْمَانِ
 وَقَالَ غَيْرُهُ:
 قَلْبِي أَسِيرٌ فِي يَدِي مَقْلَةٍ تَرْكِيَّةٌ عَيْلٌ بِهَا صَبْرِي^(٣)
 كَأَنَّهَا مِنْ ضَيْقِهَا عَرُودٌ لَيْسَ لَهَا زُرٌّ سِوَى السَّحْرِ
 وَمَا قِيلَ فِي التَّرِكِ:
 يَا تُرْكُ مَاذَا لَقِينَا مِنْ بَنَاتِكُمْ يَا لَيْتَ أَنْ بَنَاتَ التَّرِكِ لَمْ تَكُنِ
 هُمْ الْعَدُوُّ فَإِنْ لَمْ نَسْبِهِمْ كَثُرُوا وَإِنْ سُبُوا فَسَبَايَاهُمْ مِنَ الْفَتَنِ^(٤)
 وَمَا قِيلَ فِي غَلَامٍ بَزَازَ قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:
 وَمَهْفَهْفٌ مَلِكُ الْجَمَالِ وَحَازَا خَطَّ الْجَمَالِ بَعَارِضِيهِ طَرَاذَا
 سُمِّيَتْهُ قَمْرًا فَكَانَ حَقِيقَةً وَغَدَا بِهِ قَمْرُ الزَّمَانِ مَجَازَا
 مَا بَاعَ بَزَا قَطُّ إِلَّا أَنَّهُ بَزَّ الْقُلُوبَ فَسُمِّيَ الْبَزَّازَا
 وَمَا قِيلَ فِي غَلَامٍ جَزَّارٍ:
 بِمَوْضِعِ الْخَرْزَلِ غَزَالٌ أَوْقَعَنِي الْحُبُّ فِي شَبَاكِهِ
 تَفَعَّلَ الْحَاضِلُ بِقَلْبِي كَفَعَلَ ذِي الصَّيْدِ فِي شَرَاكِهِ
 وَمَا قِيلَ غَلَامٍ أَيْضًا:
 يَا فَاتِنَا ذَبْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَى فَمِهِ عَيْنَاكَ أَنْفَذْتُ فِي قَلْبِي مِنَ الْأَسْلِ^(٥)
 إِنِّي أَتَيْتُكَ كَيْمَا أَشْتَرِي عَسَلًا فَلَا تَبْعَنِي غَيْرَ الرِّيقِ فِي عَسَلِ
 مَا قِيلَ فِي قَادِمٍ مِنْ سَفَرٍ:
 نَفْسِي الْفِدَاءُ لَغَائِبٍ عَنْ مَقْلَتِي وَمَحَلُّهُ فِي الْقَلْبِ دُونَ حِجَابِهِ

(١) الحالق: الجبل المرتفع.

(٢) الغمامة: السحابة، أو البيضاء من السحاب.

(٣) عيل صبره: نَفَذَ.

(٤) سبى العدو سبياً: أسرَه.

(٥) الأسل: الرماح أو كل ما رُقق من سيف أو سكين أو سنان.

لولا تمتعُ مقلتي بلقائه
وللصاحب في غلام صائم^(١) :
راسلتُ مَنْ أهواهْ أطلبُ زورةَ
فأجبتُه والقلبُ يخفقُ صبوةَ
صم إن أردتَ تعففاً وتحرجاً
أولاً فزرنني والظلامُ مجللُ
وللمأمون في غلام دخل البستان :
مرْ إلى البستانِ بستانُ
تنزلةُ البستانِ في حسنه
وله أيضاً في غلام عليه درع وحرير :
أيُّها المختارُ ثو
جئتُ للعيدِ ولالأع
إنَّ مَنْ نالَ وصالاً
أنتَ في الجندِ ولكِن
وقال مؤلف الكتاب في غلام عليه منطقة^(٥) :
خليلي إني مِنْ محبَّتي العُلا
فعقدُ الثُرَيَّا مستكنٌ بثغره
ولآخر في غلام يرمي :
ظبيُّ رمانِي بسهمٍ حتفِ
يجذبُ قلبي إلى هواهْ
ومما قيل في غلام لابس سيف :

لوهبتُها لمبشري بأياه
فأجابني أو لستَ في رمضانِ؟
الصومُ^(٢) عَنْ بَرٍّ وَعَنْ إحسانِ^(٣)
عَنْ أَنَّ تَكِيدَ النَّاسِ بِالْهَجْرَانِ^(٤)
وأحسُّه يوماً مرَّ مِنْ شعبانِ
ليجتني الريحانِ ريحانُ
مُذْ سَجَدْتُ لِلْغَصَنِ أَغْصَانُ
بأهْ حريراً وجديداً
يَنْ مِنْ وَجْهِكَ عَيْداً
مَنْكَ مَجْدودُ سَعِيدُ
لَكَ فِي النَّاسِ جَنْودُ
وقال مؤلف الكتاب في غلام عليه منطقة^(٥) :

بليتُ بعلوى الصفاتِ أخي البدرِ
ومنطقةُ الجوزاءِ في خصره تجري
لَمَّا انبرى نازعاً بسهمِ^(٦)
كجذبة القوسِ حينَ يرمي

(١) الأبيات في يتيمة الدهر ٣/ ٣٢١ وهي من الكامل.

(٢) في يتيمة الدهر ٣/ ٣٢١: أنصوم.

(٣) الصبوة: الميل والحنان والشوق.

(٤) رواية البيت في يتيمة الدهر ٣/ ٣٢١:

- صم إن أردتَ تحرجاً وتعففاً

(٥) المنطقة: ما يُشد به الوسط.

(٦) الحتف: الموت (ج) حتوف.

وراكِبَ الأَبْلَقِ الجَوادِ
وسيفُ عَيْنِيكَ في فؤادي^(١)

لِدَعْوَةِ عَبْدٍ رَوْحُهُ بِكَ تَرْتَاحُ
يَزِينُهُ الرِّيحَانُ وَالشَّمْسُ وَالرَّاحُ
وَوَجْهُكَ لِي فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ مُصْبَاحُ
وَصَدْعُكَ لِي آسٌ وَخَذُّكَ تَفَاحُ

يَشْكُو غَزَالاً لَجَّ فِي عَقْوِقِهِ
مِنْ عَاشِقٍ أَحْسَنَ مِنْ مَعْشُوقِهِ
لِدَّةٍ كَالْمَاءِ غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ يَجْرِي
خِلَّتَهُ لَابِساً غِلَالَةَ خُمُرِي^(٢)

لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يَنْسُجُ
وَيَذِيبُهُ الْمَاءُ الْقَرَاخُ فَيَبْهَجُ
نَصْفَانِ ذَا عَاجٍ وَذَا فَيَرْوِجُ^(٣)

شَعْرَهُ شَامِتاً كَمَدْرِكٍ ثَارٍ
ذَنْ صَبْحِ الْجَمَالِ بِالْإِسْفَارِ
وَهُوَ الْآنَ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ

يَا لَابِسَ السَّيْفِ وَالسَّوَادِ
سَيْفُكَ فِي غَمْدِهِ الْمُحَلَّى
قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ فِي غِلَامٍ مُضَيَّفٍ:
فَدَيْتُكَ مَا هَذَا التَّحَشُّمُ كُلُّهُ
وَلَمْ كُلْ هَذَا الْإِحْتِشَامُ بِمَجْلِسِ
وَفِيكَ غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَرُوقُنِي
وَرِيثُكَ لِي خُمُرٌ وَعَيْنَاكَ نَرْجِسُ
وَلِلصَّاحِبِ فِي غِلَامٍ عَاشِقٍ^(٤):

بَدَا لَنَا كَالْبَدْرِ فِي شُرُوقِهِ
يَا عَجَبِي^(٥) لِلدَّهْرِ فِي طُرُوقِهِ
وَمِمَّا قِيلَ فِي غِلَامٍ دَخَلَ الْمَاءُ:

بَاشَرَ الْمَاءُ وَهُوَ فِي رُقَّةِ الْجِلْدِ
خَمَشَ الْمَاءُ جِلْدَهُ الرُّطْبَ حَتَّى
وَمِمَّا قِيلَ فِي غِلَامٍ اسْتَعْمَلَ الثُّورَةَ^(٦):

وَمَجْرَدٌ كَالسَّيْفِ أَسْلَمَ نَفْسَهُ
ثَوْبٌ تَمْزُقُهُ الْأَنَامِلُ رُقَّةً
فَكَأَنَّهُ لَمَّا اسْتَوَى فِي خَصْرِهِ
وَمِمَّا قِيلَ فِي غِلَامٍ حَلَقَتْ طَرْتَهُ^(٧):

قُلْ لِمَنْ رَاحَ عِنْدَ حَلْقِي لِيَجْلِي
يَعْلَمُ اللَّهُ مَا بِقَلْبِكَ مُذَا
كَانَ كَالْبَدْرِ فِي قَنَاعٍ ظِلَامٍ

(١) الغمد: غلاف السيف (ج) غمود، وأغماد.

(٢) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣٠٠ وهما من الرجز.

(٣) في يتيمة الدهر ٣/٣٠٠: يا عجباً.

(٤) خمش وجهه: خدشه ولطمه.

(٥) الثُّورَةُ: أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريوم تُستعمل لإزالة الشعر.

(٦) الْفَيَّرُورُج: حجر كريم غير شفاف، أزرق اللون بلون السماء أو أميل إلى الخضرة يُتحلَّى به.

(٧) الطَّرَّة: ما تنزين به المرأة من الشعر الموفي على جبهتها بالقص والتصفيف.

ولبعضهم فيه :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قَبْحاً
كَانَ قَبْلَ الْحَلَقِ لَيْلاً وَصَبْحاً
ومما قيل في غلام خياط :

أَيَا مَنْ رَأَى الْبَدْرَ بَدْرَ السَّمَاءِ
إِذَا مَزَّقَ الثُّوبَ مَقْرَاضُهُ
قال مؤلف الكتاب في غلام خباز :

بِرَأْسِ سَكَّةٍ عَمَارٍ لَنَا قَمَرٌ
إِذْ قَوَتْ أَجْسَامُهُمْ مِمَّا يَبِيعُهُمْ
وله فيه أيضاً :

قُولُوا لِعِثْمَانَ فِي أَوْقَاتِ طَيْبَتِهِ
إِنِّي أَرَاكَ تَبِيعُ النَّاسَ قَوْتَهُمْ
ومما قيل في غلام بيده غصن نور^(٣) قول ابن سكرة^(٤) :

غَصْنُ بَانَ أَتَى^(٥) وَفِي الْيَدِ مِنْهُ
فَتَحْيَّرْتُ بَيْنَ غَصْنَيْنِ فِي ذَا
ومما قيل في غلام محمود قول ابن المعتز :

وَمَقْتُولُ سَكْرِ عَاشٍ لِي إِنْ دَعَوْتُهُ
وَقَامَ بِكَفِيهِ بَقَايَا خَمَارِهِ
ومما قيل في غلام مجذور^(٦) :

وَقَالُوا شَائِنُهُ الْجَدْرِي فَانْظُرْ
فَقُلْتُ مَلَا حَةً نَثَرْتُ عَلَيْهِ
إِلَى وَجْهِهِ بِهِ أَثَرُ الْكَلُومِ
وَمَا حَسَنُ السَّمَاءِ بِلَا نَجُومِ

(١) المقرض : المقصص ، وهو ما يقرض به الثوب أو غيره .

(٢) الطوبى : الحسنى والخير وكل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء ، وعز بلا زوال ، وغنى بلا فقر .

(٣) الثَّوْرُ : الزهر أو الأبيض منه .

(٤) البيتان في يتيمة الدهر ٤ / ٣ وهما من الخفيف .

(٥) في يتيمة الدهر ٤ / ٣ : بدا .

(٦) غلام مجذور : أي أصابته الجدري : مرض جلدي ينتقل بالعدوى ويتسم بالحمى ويظهر بقع صغيرة مليئة بالصديد خصوصاً على الخدين ، قد تبقى تجاوبها بعد الشفاء ظاهرة فيهما مدى العمر .

ومما قيل في غلام أعجمي^(١) قول ابن تمام:

لَدُنِ الْبَنَانِ لَهُ لِسَانٌ مُعْجَمٌ خَرَسَ نَوَاحِيهِ وَوَجْهٌ مُعَرَّبٌ

ومما قيل في غلام جسيم^(٢) قول القاضي التنوخي:

قَالُوا عَشَقْتُ عَظِيمَ الْجِسْمِ قُلْتُ لَهُمْ: الشَّمْسُ أَعْظَمُ جَرِمٍ جَادَهُ الْفَلَكُ

وقال مؤلف الكتاب فيه:

هَلْ سَبِيلٌ إِلَى عَنَاقٍ كَمَا عَا نَقْتُ عِنْدَ الْفِرَاقِ يَوْمَ الْوَدَاعِ

شَادِنًا فَاتِنًا سَمِينًا جَسِيمًا مَلَأَ عَيْنِي وَمَلَأَ قَلْبِي وَبَاعِي

ومما قيل في غلام يظلل من الشمس قول ابن العميد:

ظَلَلْتُ ظِلَّ لَنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

فَأَقُولُ يَا عَجْبِي وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٍ تَظَلَّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

ومما قيل في غلام ينفخ في الجمر قول الصنوبري:

وَجْهُكَ فَوْقَ النَّارِ فِي حَسَنِهَا وَفَوْكَ فَوْقَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ

ومما قيل في غلام يرش ماء الورد قول ابن سكرة^(٣):

لَيْتَ شَعْرِي عَنْ مَاءٍ وَرَدِّكَ هَذَا هُوَ مِنْ وَجْنَتِكَ أَمْ شَفَّتِيكَ

رَقٌّ جَسَمًا وَطَابَ عُرفًا فَقَدْ دَلَّ لَ بِأَوْصَافِهِ الْحَسَانِ^(٤) عَلَيْكَ^(٥)

ومما قيل في غلام سلس^(٦) القياد قول بعضهم:

أَرْسَلْتُ فِي وَصْفِ صَدِيقٍ لَنَا مَا حَقُّهُ الْكِتَابَةُ بِالْعَسْجِدِ^(٧)

فِي الْحَسَنِ طَاوُوسٌ وَلَكِنَّهُ أَسْجَدَ فِي الْخُلُوةِ مِنْ هَدَهْدِ^(٨)

(١) الأعجمي: غير الفصيح. والأعجم: من ليس بعربي وإن أفصح بالعجمية. والأعجم: الأخرس.

(٢) الجسيم: العظيم الجسم البدن (ج) جسام وهي جسيمة.

(٣) البيتان في يتيمة الدهر ٣/ ٧ - ٨ وهما من الخفيف.

(٤) في يتيمة الدهر ٣/ ٨: الظراف.

(٥) العرف: الرائحة الطيبة.

(٦) القياد: ما تقاد به الدابة من حبل. ويستعمل بمعنى الطاعة أو الإذعان. يقال: (فلان سلس القياد أو صعب القياد).

(٧) العسجد: الذهب.

(٨) الهُدُود: جنس طير من الجوارثم الرقيقات المناقير. أشهر أنواعه الهدد الشائع، وهو مبذول في لبنان وغيره. ذو خطوط وألوان كثيرة وهو متوسط الجسم، له منقار مستطيل وقنزعة على رأسه كبيرة القد سوداء الأطراف. وذنبه مقطوم الطرف، أسود اللون، أبيض الجانبين والوسط. يألف الهدد الأماكن المبعثرة الأشجار، وقوته الحشرات والديدان (ج) هداهد وهدايد.

ومما قيل في غلام معقرب^(١) الوجه قول ابن المعتز:

ظبيّ يتيهُ بحسنِ صورته عَبَّ الدَّلالُ بلحظِ مقلته
وكأنَّ عقربَ صدغه احترقت لَمَّا دَثَّتْ مِنْ نارِ وجنته

وقال مؤلف الكتاب فيه:

بنفسي هلالٌ بحالِ الهلالِ لتلك المحاسنِ منه حسودا
كأنَّ عقاربَ أصداغه غذينَ بمسكِ فأصبحنَ سودا

ومما قيل في غلام التحي^(٢):

قال العذولُ أنتَ حبيبُكَ لحيةً حكمتَ بأنَّ البدرَ منه يكسفُ^(٣)
فأجبتهم والقولُ مني فيصلُ هي حليةٌ لا لحيةً فلتنصِفوا

قال مؤلف الكتاب في غلام مسافر:

فديتُ مسافراً ركبَ الفيافي وأثرَ في محاسنِهِ السفارُ^(٤)
فمسكُ خدِّ ورديه السوافي وعنبرُ مسكِ خديه الغبارُ^(٥)

ومما قيل في غلام آلمه الضرس:

عجباً لضرسِكَ كيفَ يشكو علةً وبجنبهِ مِنْ ريقِكَ الترياقُ^(٦)
هلاً حمذت سقامَ ناظريكَ الذي عافاك وإبْثُلَيْتَ بِهِ العشاقُ
أو عقربي صدغيكَ إذ لدَّعا الورى وحماكَ مِنْ حمتيهِما الخلاقُ^(٧)

ومما قيل في غلام به رمد^(٨) قول ابن المعتز:

قالوا: اشتكتَ عيناهُ قلتُ لَهُم مِنْ كثرةِ الفتكِ مَسْها الوصبُ^(٩)
حمرُّها مِنْ دماءٍ مَن فَتَكَت والدمُ فِي النصلِ شاهدٌ عجيبُ

(١) المعقرب: المعوج المعطوف.

(٢) التحي الغلام: نبت لحيته.

(٣) كسفت الشمس: احتجبت وذهب ضوءها، لحلول القمر بينها وبين الأرض.

(٤) الفيافي: (ج) الفياء: الصحراء الواسعة المستوية.

(٥) السوافي: (ج) السافية: سفت الريح التراب. حملته أو نثرته.

(٦) الترياق: دواء ضد السم يمنع امتصاص السم في المعدة والأمعاء.

(٧) الحُمة: سم كل ما يلدغ ويلسع، أو الإبرة التي فيها يُلدغ ويلسع.

(٨) الرمد: داء التهابي يصيب العين.

(٩) الوصب: الوجع والمرض أو التعب والفتور في البدن (ج) أوصاب.

ولعبيد الله بن عبدالله بن طاهر فيه أيضاً:

يا مَنْ تشكَّى ألمَ العينِ حاشا لعينيكِ مِنَ الشينِ^(١)
عينُ مِنَ النَّاسِ أصابَتْهُما ما أسرعَ العينُ إلى العينِ
لو كَانَ ممَّا يشتري مثلهُ لابتعتهُ بالعينِ والدينِ^(٢)
أو كَانَ ما يمكنُ تحويلهُ حولتُ شكواكَ إلى عيني
ومما قيل في غلام جرب^(٣) قول الواواء^(٤):

يا صروفَ الدهرِ حسبي أيُّ ذنبٍ كَانَ ذنبي؟
علةٌ خضت وعُتت في حبيبٍ ومحِبِّ
ربِّ في كَفِّهِ ما مِنْ حُبِّهِ ربُّ بقلبي^(٥)
فهي تشكو^(٦) حرَّ حُبِّ واشتكائي حرَّ حُبِّ
ومما قيل في غلام ذمي^(٧):

وما أنْسَ لا أنْسَ ظبيُّ الكُنا سِ يريْدُ الكنيْسةَ مِنْ دارِهِ^(٨)
فيا حسنُ ما فوقَ أزراره ويا طيبُ ما تحتَ زناره^(٩)

ومما قيل في غلام أصابه سهم فمات:
فإنَّكَ قَدْ أَصَبْتَ بِسهمِ رامٍ وكأنتَ قوسُهُ سبباً لحتفِكَ
فكَمْ يومٌ أدمتَ القتلَ فيه بقوسي حاجبيكَ وسهمِ طرفِكَ

ومن أحاسن ما قيل في لطائف الغزل قول ابن الرومي:
أصفُ الحبيبِ ولا أقولُ كأَنه كَلا لَقَدْ أَمسى مِنْ الأفرادِ

(١) الشين: العيب والقيح.

(٢) العين هنا: ما ضرب نقداً من الدنانير أو النقد.

(٣) الجرب: مرض جلدي مُعِد، يُحدث بثوراً في الجلد، وحكاً شديداً.

(٤) الأبيات في يتيمة الدهر ١/٣٤٤ وهي من مجزوء الرمل.

(٥) رواية البيت في يتيمة الدهر ١/٣٤٤:

- دب في كَفِّهِ ما مِنْ حُبِّهِ دب بقلبي

(٦) في يتيمة الدهر ١/٣٤٤: فهو يشكو.

(٧) الذمي: واحد أهل الذمة: الذين دخلوا في عهد المسلمين وأمانهم.

(٨) الكناس: مكان في الشجر ونحوه، يأوي إليه الظبي ليستر (ج) كُنُس وأكنسة.

(٩) الزنار: حزام أو خيط غليظ من الحرير بقدر الإصبع يُشد على الوسط (ج) زنابير.

إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مُحَاسِنَ وَجْهِهِ أَن لَّا أَنْزِلُهَا عَنِ الْأَنْدَادِ^(١)
وقول السري الموصلي .

بِنَفْسِي مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكاً فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعِي فِيهِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وقول الآخر :

فَوَادِي كَفَيْكَ إِذَا مَا نَطَقَ ثَ وَصْبِرِي كَخَصْرِكَ فِي رَقْتِهِ
وَبِالْجِسْمِ مَثِي الَّذِي يَشْتَكِي هَ طَرْفُكَ مِنْ غَيْرِ مَا عَلْتِهِ
أَشْبَهُ وَعَدَّكَ فِيمَا وَعَد تَ بَعْقَرٍ صَدِغَكَ فِي عَطْفَتِهِ
وَأَزْدَادَ فِي كُلِّ يَوْمٍ هَوَى وَحَسْنُكَ يَزْدَادُ فِي فَتْنَتِهِ
ومن أحاسن الصابي قوله^(٢) :

مُرَّ مَا بِي مِنْ أَجْلِكَ الْيَوْمَ حَلَوُ^(٣) وَعَذَابِي فِي مِثْلِ حَبِّكَ عَذْبُ
وقول أبي فراس الحمداني^(٤) :

وَشَادِنٍ قَالَ لِي لَمَّا رَأَى سَقَمِي وَضَعْفُ جِسْمِي وَالدَّمْعُ الَّذِي أَنْسَجَمَا^(٥)
أَخَذَتْ دَمْعَكَ مِنْ جِسْمِي^(٦) وَجِسْمَكَ مِنْ خَصْرِي ، وَسَقَمَكَ مِنْ طَرْفِي الَّذِي سَقَمَا
وقول مؤلف الكتاب :

أَنَا يَا صَاحٍ لَسْتُ عِنْدِي بِصَاحٍ أَنْتَ رَوْحِي وَرَاحَتِي أَنْتَ رَاحِي
وَمَتَى لَاحَ بَرَقَ ثَغْرُكَ عِنْدِي مَطَرْتَنِي سَحَابَةُ الْارْتِيَاكِ
وقال أيضاً :

يَا قَبْلَةَ الْعَشَّاقِ يَا مَنْ بِهِ سَتَرَ الْهَوَى بَيْنَ الْوَرَى مِنْهَتِكِ
جَزُؤْتُ مِنْ لِحْظِكَ سَيْفًا قَلِمَ أَغْمَدْتُهُ فِي قَلْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وقال أبو فراس الحمداني^(٧) :

(١) الأنداد: (ج) التُّد: المثل والنظير .

(٢) البيت في يتيمة الدهر ٣٠٤/٢ وهو من الخفيف .

(٣) رواية الشطر الأول في يتيمة الدهر ٣٠٤/٢ :- مَرَّ مَا مَرَّ بِي مِنْ أَجْلِكَ حَلَوُ

(٤) البيتان في يتيمة الدهر ٧٩/١ وهما من البسيط .

(٥) الشادن: الغزال، وانسجام الدمع: هطوله وذرقه .

(٦) في يتيمة الدهر ٧٩/١: خَذِي .

(٧) الأبيات في يتيمة الدهر ٧٨/١ وهي من البسيط .

سَكِرْتُ مِنْ لِحْظِهِ لَا مِنْ مَدَامَتِهِ
أَلَوِي بَعَزْمِي أَصْدَاغٌ لَوِيْنٌ لَهُ
وَمَا السَّلَافُ دَهْنِي، بَلْ سَوَالِفُهُ
لغيره:

يَا عَلِيًّا جَعَلَ الْـ
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا عَلِيلٌ
وللصاحب في العذار^(٣):

لَمَّا بَدَا الْعَارِضُ فِي خَدِّهِ^(٤)
وَقُلْتُ لِلْعَذَالِ يَا مَنْ رَأَى
ولبعضهم:

يَا ذَا الَّذِي خَطَّ الْجَمَالَ بِوَجْهِهِ
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ لِحْظَكَ صَارَمٌ
وللصاحب:

خَطُّ أَلَمٍ بِخَدِّهِ
وَالسَّيْفُ يَحْسُنُ فِي الْجَلَا
وَالطَّرْسُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ
لبعضهم في التحاء الغلام:

قُلْتُ لَمَّا تَشَوَّكَتْ عَارِضَاهُ
مَا الَّذِي قَدْ بَدَا فَقَالَ مُجِيبًا:
وله فيه أيضاً:

التَّحَى قَاسِمٌ فَشَقَّ عَلَيْهِ
كُلُّ بَدْرٍ يَدْنُو الْكَسُوفُ إِلَيْهِ

(١) غال صبري: قتله.

(٢) السالفة: صفحة العنق عند معلق القرط، أو خصلة الشعر المرسلة على الخد. الشمول: الخمر تشمل بريحها الناس.

(٣) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣٠٣ وهما من السريع.

(٤) في يتيمة الدهر ٣/٣٠٣: الخد.

(٥) الحمائل: (ج) الحمالة: العلاقة يُحمل بها السيف.

(٦) جلى السيف والفضة والمرأة: كشف صداها وصقلها.

يا عذاريه فوقَ خديه يا صد غيه يا مقلتيه يا وجنتيه
كنتُ أبكي عليَّ منه فلما ماتَ يومَ التحي بكيتُ عليه
وللقاضي التنوخي:

قلتُ لأصحابي وقَدْ مرَّ بي منتقباً بعدَ الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودادي قفوا كي تُبصروا كيفَ زوالَ النعم

الباب الخامس عشر

في الشباب والشيب

أحسن ما قيل في مدح الشباب قول هارون بن ^(١) النجم ^(٢):

أعطِ الشباب نصيبُهُ ما دمتَ تعذُرُ بالشباب
وانعمَ بأيام الصُّبا واخْلَعْ عذارَكَ في النصابِ ^(٣)
ومما يليق بهذا الفصل قول السري ^(٤):

قُمْ فانتصفْ مِنْ صروفِ الدهرِ والثوبِ واجمعْ بكأسِكَ شَمْلَ الدهورِ والطربِ
فالعيشُ في ظلِّ أيّام الصُّبا فإذا فارقتَ غصنَ ^(٥) الشبابِ الغضُّ لم يَطِبْ
جريتُ في حلبةِ الأهواءِ مجتهداً وكيفَ أقصرُ والأيامُ في طلبِي ^(٦)

ومن قيل في حلول الشيب قبل وقته وقول ابن المعتز:

صدتُ شريينَ وأزمتُ هجري وصغتُ ضمائرَها إلى الغدرِ
قالت: كبرتُ وشبتَ قلتُ لها: هذا غبارُ وقائعِ الدهرِ
ولغيره:

أفي أربعٍ مِنْ بعدِ عشرينَ عشتها طلوعُ مشيبٍ إنْ ذَا لعجيبُ

(١) هو هارون بن علي بن يحيى (٢٥١ - ٢٨٨ هـ = ٨٦٥ - ٩٠١ م) أبو عبدالله، ابن المنجم البغدادي عالم بالأدب. من أهل بغداد. له تصانيف، منها «كتاب النساء» و«المختار» في الأغاني و«اختيار الشعراء» و«البارع» في أخبار الشعراء المولدين. توفي ببغداد شاباً. الأعلام ٨/ ٦١ - ٦٢، والأغاني ٣/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٧٨، ومعجم الشعراء ص ٤١٠ - ٤١١.

(٢) البيتان في معجم الشعراء ص ٤١١.

(٣) في معجم الشعراء ص ٤١١: التصابي.

(٤) الأبيات في يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٢: وهي من البسيط.

(٥) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٢: ودعت طيب.

(٦) الحَلْبَة: ميدان سباق الخيل، أو موضع يُخصّص للملاكمة والمصارعة ونحوهما.

ولا غرو لولا في الذي قد لقيته غراب لقد كان الغراب يشيب^(١)
ومن أبلغ ما قيل في التأسف على الشباب قول منصور:
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع
ما كنت أوفي شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع^(٢)
أبكي شباباً سلبناه وكان وما يوفي بقيمته الدنيا وما تسع
ومما قيل في التأسف على الشعر الأسود:
وكنث إذا سرحت بالمشط عارضي رأيت سحيق المسك بين يديا^(٣)
فصرت إذا خللت بأصابعي تنائر كافور بهن عليا
ومن أحسن بعضهم:
وأنكرت شمس الشيب في ليل لمتي لعمرك ليلي كان أحسن من شمس^(٤)
كأن الصبا والشيب يطمس نوره عروس أناس مات في ليلة العرس
ومما قيل في كراهة النساء الشيب:
رأيت الغواني الشيب لآح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواضر^(٥)
وكن إذا أبصرنني أو سمعن بي جرين فقرعن الكوى بالمحاجر^(٦)
وقول ابن المعتز:
تولّى الجهل وانقطع العتاب ولآح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخود الكعاب^(٧)
وقول بعضهم:
ولقد رأيت صغيرة مسح عذاري بالخمير
قالت: غبار قد علا لك فقلت ذا غير الغبار
هذا الذي نقل الملوكة إلى القبور من الديار

(١) الغزو: العجب، يقال: لا غرو؛ أي: لا عجب.

(٢) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته.

(٣) السحيق: المسحوق أو البعيد.

(٤) اللثة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن (ج) لم، ولمام.

(٥) العارض: صفحة الخد أو صفحة العنق.

(٦) الكوى: (ج) الكوة: خرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء. المحاجر: (ج) المحجر في العين: ما أحاط بها.

(٧) الخود: (ج) الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق. الكعاب: كعبت الفتاة: نهذ ثديها.

وقول ابن المعتز:

يَا ذَا الَّذِي كَتَمَ الْمَشِيبَ وَقَدْ فَشَا قل لي: متى سقط الغرابُ عليكَا؟

وقول الصاحب:

ما بَالٌ وَسَنِي عَرُضَ تنني عندَ شيبِي للأذى
تَقُولُ بَعْدَ بَعْدَمَا كَانَتْ تَقُولُ حُبًّا
وَكُنْتُ كَحَلِّ عَيْنِهَا فَصُرْتُ فِيهَا كَالْقِدَى

وقول أبي الفتح البستي في ذم الشيب^(١):

دَغْ دُمُوعِي يَسِيلُنْ^(٢) سَيْلًا بَدَارَا وَضُلُوعِي يَصْلِيْنَ بِالْوَجْدِ نَارَا^(٣)
قَدْ أَعَادَ الْأَسَى نَهَارِي لَيْلًا مُذْ أَعَادَ الْمَشِيبُ لَيْلِي نَهَارَا

ومن أحسن ما قيل في قصّ الشيب قول البحرّي:

شَعْرَاتٌ أَقْصَهُنَّ وَيَرْجِعُ نَ رَجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ

وقول ابن المعتز:

أَلَسْتُ تَرَى شَيْبًا بِرَأْسِي شَامِلًا دَنْتُ حَلِيَّتِي عَنْهُ وَضَاقَ بِهِ ذُرْعِي
كَأَنَّ الْمَقَارِيطَ الَّتِي تَعْتَوِرُهُ مَنَاقِيرُ طَيْرٍ يَنْتَقِي سَنَبَلَ الزَّرْعِ

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي:

أَحْسَنُ أَيَّامِ الْفَتَى مَا قِيلَ عَنْهَا حَدَثُ
شَبَابُهُ مِنْ فَضْةٍ وَالشَّيْبُ فِيهَا خَبَثُ

ومما قيل في إنذار الشيب بالموت قول محمود:

الشَّيْبُ إِحْدَى الْمَوْتَيْنِ تَقَدَّمَتْ إِحْدَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ أُخْرَاهُمَا
وَكَأَنَّ مَنْ حَلَّتْ بِهِ صِغَرَاهُمَا يَوْمًا فَقَدْ حَلَّتْ بِهِ كِبَرَاهُمَا

وقال ابن المعتز:

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ بِالْحِثَاءِ تَسْتَرُهُ سَلِ الْإِلَهَ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ
لَنْ يَرْحَلَ الشَّيْبُ عَنْ دَارٍ يَلْمُ بِهَا حَتَّى يُرْحَلَ عَنْهَا صَاحِبُ الدَّارِ

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٤ / ٣٧٦-٣٧٧ وهما من الخفيف.

(٢) في يتيمة الدهر ٤ / ٣٧٦: تسيل.

(٣) سَيْلًا بَدَارًا: أي سَيْلًا مَسْرَعًا. والوجد: الحب الشديد.

وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

تَضَاحَكْتُ لَمَّا رَأْتُ
وَقَدْ رَأْتُ دَمْعِي عَلَى
قَلْتُ لَهَا: لَا تَعْجَبِي
هَذَا غَمَامٌ لِلرَّدَى
وقال غيره:

شَيْباً تَلَّالَا غُرَّة
خَدِي تَجْرِي دُرَّة
أَنْبِيكَ عِنْدِي خَبْرَةٌ
وَدَمْعُ عَيْنِي مَطَرَةٌ
يمشي على الأرض مشي الهالك

مَنْ شَابَ قَدْ مَاتَ وَهُوَ حَيٌّ
وقال مؤلف الكتاب:

وَأَبْصُرُ طَرَقَ أَصْحَابِ الرِّشَادِ
وَشَيْبُ الْمَرْءِ عَنَوَانُ الْفَسَادِ
من أحسن ما قيل في الإشفاق من الشيب قول مسلم:

أَبَا مَنْصُورَ الْمَغْرُورُ أَقْصَرَ
أَلَسْتُ تَرَى نَجُومَ الشَّيْبِ لَاحَتْ
الشَّيْبُ كَرَّةٌ وَكَرَّةٌ أَنْ يَفَارِقَنِي
يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ
وقول أبي الفتح البستي في مثله^(١):

وَتَيْقُزْنِي أَنِّي بِوَصْلِكَ مَوْلَعٌ
فَالآنَ مِنْ حَذَرِ ارْتِجَاعِكَ^(٢) أَجْزَعُ
وقال غيره:

يَا شَيْبَتِي دُومِي وَلَا تَتْرَخِّلِي
قَدْ كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ حُلُولِكَ مَرَّةً
لَا يُرِغُكَ الْمَشْيِبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ الدِّ
إِنَّمَا تَحَسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحَا

لَهُ فَالشَّيْبُ زِينَةٌ وَوَقَارٌ^(٣)
كَثُفٌ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ
من أحسن ما قيل في الرد على غائب الشيب:

وَعَائِبٌ عَابَنِي بِشَيْبٍ
فَقُلْ لِمَنْ عَابَنِي سَفَاهًا
لَمْ يَعْذُ لَمَّا أَقَامَ وَقْتَهُ
يَا غَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلْغَتُهُ
ولا بن المعتر:

فَقُلْتُ الْخَضَابُ شَبَابٌ جَدِيدُ

وَقَالُوا النَّصُولُ مَشْيِبٌ جَدِيدُ

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٣٧٧/٤ وهما من الكامل.

(٢) في يتيمة الدهر ٣٧٧/٤: ارتحالك.

(٣) الوقار: الرزاة والحلم والسكينة.

إِسَاءَةٌ هَذَا بِإِحْسَانٍ ذَا فَإِنْ عَادَ هَذَا فَهَذَا يَعُودُ
وظرف ابن الرومي في قوله :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَسْوُودُ شَعْرَهُ كَيْمَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الشَّبَانِ
أَقْصَرَ قَلْوُ سَوْدَتْ كُلِّ حَمَامَةٍ بِيضَاءَ مَا عُدَّتْ مِنَ الْغُرْبَانِ
وله أيضاً :

بَكَيْتُ مِنَ الشَّيْبِ حَتَّى ضَجِرْتُ وَقَدْ دَبَّ فِي عَارِضِي وَاشْتَعَلَ
وَسَوْدٌ وَجْهِي فَسَوْدَتْهُ فَعَلْتُ بِهِ مِثْلَ مَا قَدْ فَعَلَ
ولم أر في آثار الكبير أحسن من قول ابن المعتز :

لَا تَلُمُ بِالْمَدَامِ مَطْلِي وَحَبْسِي لَيْسَ يَوْمِي يَا صَاحِبِي مِثْلُ أَمْسِي
لَا تَسْلُنِي وَسَلْ مَشِيبِي عَنِّي مُذْ عَرَفْتُ الْخَمْسِينَ أَنْكَرْتُ نَفْسِي
وقول بعضهم :

المرءُ مثلُ هلالٍ حينَ تبصره يَبْدُو لِعَيْنِي ضَعِيفاً ثُمَّ يَتَّسِقُ
يزدادُ حتى إذا تَمَّ في الإِشْرَاقِ أَعْقَبُهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصاً ثُمَّ يَنْمَحُ
وظرف من قال :

لَمْ أَخْضُبِ الشَّيْبَ لِلْغَوَانِي لِأَبْتَغِي عِنْدَهَا الْوِدَادَا
لَكِنْ خَضَابِي عَلَى شَبَابِي لِبَسَّتْهُ بَعْدَهُ حِدَادَا

الباب السادس عشر

في مكارم الأخلاق والمدائح

قال بعض الأئمة أمدح بيت للعرب قول زهير^(١) :

تراه إذا ما جثته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلة^(٢)

وكان الأستاذ الطبري يقول : أمدح بيت للبحثري قوله :

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (توفي ١٣٣ هـ = ٦٠٩ م) من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضل على شعراء العرب كافة. ولد في بلاد مُزينة، وكان يقيم في الحاجر، كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى «الحوليات» وله ديوان شعر.

الأعلام ٥٢/٣، والشعر والشعراء ص ٦٩، والأغاني ٣٣٦/١٠، ومعاهد ٣٢٧/١.

(٢) البيت في الشعر والشعراء ص ٧٠.

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً
كذلك الشمسُ تبعُدُ أنْ تَسامى
وللأواءِ:

مَنْ قاسَ جودَكَ بالغمامِ فما
أنتَ إذا جُدْتَ ضاحكٌ أبداً
قال المتنبّي^(١):

فإنْ تَفِقْ الأنامَ وأنتَ منهمْ
وقوله أيضاً^(٣):

ليسَ التعجُّبُ مِنْ مواهبِ مالِهِ
عجباً لَهُ حِفْظُ العنانِ بأنمِلِ
ذَكَرَ الأنامَ لَنَا وكانَ قصيدةً
وقاله أيضاً^(٤):

الناسُ ما لَمْ يروكَ أشباهَ
والجودُ عَيْنٌ وأنتَ ناظِرُها
إنْ كانَ فيما تَراهُ مِنْ كَرَمٍ
وليسَ لقولِ كشاجمِ شبيه:

شَخَصَ الأنامُ إلى كَمالِكَ فاستَعِذْ
ومن أحسنَ ما قيلَ في الجودِ قولُ البحتري:

ملكٌ أطاعَتْهُ العُلَى فأطاعَها في مالِهِ وعَصَى بِها عَدْلَهُ

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ = ٩١٥ - ٩٦٥ م) أبو الطيب المتنبّي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة في محلة تسمى «كندة»، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. قُتل بالنعمانية بالقرب من دير العاقول. الأعلام ١/ ١١٥، وابن خلكان ١/ ٣٦، ومعاهد ١/ ٢٧، وتاريخ بغداد ٤/ ١٠٢.

(٢) البيت في يتيمة الدهر ١/ ١٦٢ وهو من الوافر.

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ١/ ٢٣٢ وهي من الكامل.

(٤) الأبيات في يتيمة الدهر ١/ ٢٣٤ وهي من المنسرح.

(٥) رواية البيت في يتيمة الدهر ١/ ٢٣٤:

- والجود عَيْنٌ وأنت ناظره والبأس باعٌ وأنت يمينه

وقوله أيضاً:

ولسْتُ أدري أي آياته أحسن إن عدّدها الشعرُ
أوجهُ الواضح أم حلمه الرا
وقوله أيضاً:

أفدي نذاك فربّ يوم جاءني عفواً يقودُ لي الغنى بزمَامِهِ
وإذا أردتَ لبستُ منك مواهباً ينشُرْنَ نشرَ الوردِ مِنْ أكمَامِهِ
ومن غرر أبي بكر العلاف قوله لعضد الدولة^(٢):

يا عَلمَ العالمِ في الجودِ مثلكَ جوداً غيرَ موجودِ
بل^(٣) استوى الجودُ على جرمِهِ^(٤) كما استوى الفُلكُ على الجودي^(٥)
قال بعضهم في الكرم:

وإذا الكريمُ نَبَتَ به أيامُهُ لم ينتعش إلا بعونِ كريمِ
فأعِنْ على الخطبِ العظيمِ فإِنَّهُ يُزجى العظيمُ لدفعِ كلِّ عظيمِ
ومن أحسن قول أبي فراس الحمداني^(٦):

وُعدى كريماً مَنْ يجودُ بمالهِ وَمَنْ يبذلِ النفسَ الكريمةَ أَكرَمُ^(٧)
وقال أبو تمام في الشجاعة:

وإذا رأيتَ أبا يزيدٍ في ندى ووغى ومبدي غارةً ومعيداً
يقري مرجّيه مشاشةً مالهِ وشيئ الأسنةَ ثغرةً ووريداً^(٨)
أيقنتُ أَنَّ مِنَ السماحِ شجاعةً تُدمي وأنَّ مِنَ الشجاعةِ جوداً

(١) الغمر من الماء: الكثير، الذي يملو من يدخله ويغطيه.

(٢) البيتان في يتيمة الدهر ٤٨٦/٣ وهما من السريع.

(٣) في يتيمة الدهر ٤٨٦/٣: بك.

(٤) في يتيمة الدهر ٤٨٦/٣: خدمه.

(٥) الجودي: جبل في العراق رست عليه سفينة نوح عليه السلام.

(٦) البيت في يتيمة الدهر ٧٣/١ وهو من الطويل.

(٧) رواية البيت في يتيمة الدهر ٧٣/١:

- أتدعو كريماً من يجود بماله ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم

(٨) المشاشة: رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه (ج) مشاش.

الأسنة: (ج) السنان: نصل الرمح.

الثغرة: ثغرة النحر بين الترقوتين (ج) ثغر.

الوريد: عرق في العنق، ويقال له أيضاً: حبل الوريد، وهما وريدان.

ولما قال المتنبي^(١):

وكلُّ شجاعةٍ في المرءٍ تُغني ولا مثلُ الشجاعةِ في الحكيمِ
ومن أحسن ما قيل في مدح الشجاع قوله:

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقةٌ له إذا زارها فدثته بالخيل والرجل
ومن أحسن ما قيل في مدح الحلم:
أرى الحلمَ في بعضِ المواطنِ ذلَّةً وفي بعضها عزّاً يسودُ فاعله
وأحسن ما سمعت في ترك الحلم بعد الإعذار قول الحسن بن الضحّاك:

أتاني منك ما ليس على مكروهِه صبرُ
فأغضيتُ على عمدٍ وقد يغضي الفتى الحرُ
وأبئتُك بالهجرِ فما أدبُك الهجرُ
ولا ردُّك عمُّا كما نَ منك الصفحُ والزجرُ
فلما اضطرني المكرو ء واشتدُّ بي الأمرُ
تناولتُك من سرِّي بما ليس له قدرُ
فحرَّكتُ جناحَ النذلِّ لمَّا مسَّكَ الضرُّ
إذا لم يصلحَ الخيرُ أم رأ أصلحهُ الشرُّ
وهو من قول بعضهم:

وبعضُ الحلمِ عندَ الجهلِ للذلَّةِ إذعانُ
وفي الشرِّ نجاةٌ حي ن لا ينجيك إحسانُ
ومن أحسن ما سمعت في التواضع قول بعضهم:

لعمرك ما الأشرافُ في كلِّ بلدةٍ وإن عظموا للفضلِ إلا صنائعُ
أرى عظماءَ الناسِ للفضلِ خُشْعاً إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضعَ لمَّا زاده الله رفعةً فكلُّ رفيعٍ عنده متواضعُ
قال القطامي^(٢) في الثاني:

(١) البيت في يتيمة الدهر ٢٥٨/١ وهو من الوافر.

(٢) هو عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد (توفي نحو ١٣٠هـ = نحو ٧٤٧م) أبو سعيد التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين. له ديوان شعر.

الأعلام ٥/ ٨٨-٨٩، والشعر والشعراء ص ٤٨٣، والأغاني ٢٤/٢١، ٣/١٤١.

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلُّ^(١)
ثم قال بعد ذلك :

وَرُبَّمَا فَاتَ قَوْمًا بَعْضُ أَمْرِهُمْ مِنْ التَّانِّي وَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا^(٢)
من أحسن ما قيل في الصدق قول محمود^(٣) :

الْصَّدْقُ حَلَوٌ وَهُوَ الْمَرْءُ وَالْصَّدْقُ لَا يَتْرَكُهُ الْحَرْ
جَوْهَرَةُ الصَّدْقِ لَهَا جَوْهَرٌ يَحْسُدُهَا الْيَاقُوتُ وَالْدُرُّ
وأحسن ما سمعت في الذنب والعفو قول بعضهم :

تَبَسُّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ^(٤)
أحسن ما سمعت في القناعة^(٥) قول ابن طباطبا العلوي :

كُنْ بِمَا أُوتِيَتْهُ مُقْتَنِعًا تَسْتَدِمُ عَسَرَ الْقَنُوعِ الْمَكْتَفِي
إِنَّ فِي نَيْلِ الْمُنَى وَشَكِّ الرَّدَى وَهَلَاكِ الْمَرْءِ فِي ذَا السَّرَفِ
وقول الآخر :

اِقْتَنِعْ بِالْقُوتِ وَاجْعَلْ كُلَّ أَيَّامِكَ طَاعَةً
مَا أَرَى الدُّنْيَا تَسَاوِي عِنْدَ حَرِّ غَمٍّ سَاعَةً
ولا مزيد على قول البرقي :

رَأْتُ عِزْمًا بِي وَفِرْطًا انْكِمَاشِي وَطَوَّلَ التَّمْلَمَلُ فَوْقَ الْفِرَاشِ
وَقَالَتْ: أَرَاكَ أَخَا هِمَّةٍ سَتَبْلُغُهَا فَتَرَى ذَا انْكِمَاشِ
فَهَلَّا قَنَعَتْ وَلَمْ تَغْتَرِبْ فَقُلْتُ الْقَنَاعَةُ طَبَعُ الْمَوَاشِي
ومن أحسن ما قيل في الحياء^(٦) :

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

(١) هذا البيت في الشعر والشعراء ص ٤٨٥ ، وفي الأغاني ٢٤/٢٦ ، وفي الأعلام ٨٩/٥ .

(٢) البيت في الأغاني ٢٤/٢٦ وروايته فيه :

- وربما ضَرَبَ بَعْضُ النَّاسِ بَطْوَهُمْ وَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجَلُوا

(٣) الصدق : القول بالحق في مواطن الهلكة .

(٤) الآثام : (ج) الإثم : الذنب الذي يستحق العقوبة عليه .

(٥) القناعة : هي الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكَل وملبس وغيرهما . وهي ممدوحة ومطلوبة .

(٦) الحياء : هو ما يمنعك عما يضرُّك ، وسببه ملازمة من يستحيا منه كآهل العلم والأدب . وثمرته الأمن من

المقت والعذاب وخفة الحساب ، وهو ممدوح ومطلوب .

فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الرِّفْقِ^(١) قَوْلَ بَعْضِهِمْ:

لَمْ أَرْ مِثْلَ الرِّفْقِ فِي يَمْنِهِ يَسْتَخْرِجُ الْعِذْرَاءَ مِنْ خَدْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِنُ بِالرِّفْقِ فِي أَمْرِهِ يَسْتَخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْمُدَارَاةِ قَوْلَ أَبِي سَلِيمَانَ:

مَا دُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَلَأَمَّا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ
دُنْيَاكَ تُغَرِّفُكَ مِنْهَا عَلَى حَذِرٍ فَالشَّعْرُ مَثْوَى مَخَافَاتٍ وَأَفَاتٍ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي عِلْوِ الْهَمَةِ قَوْلَ ابْنِ طَبَاطَبَا الْعُلُوِي:

لَهُ هِمَّةٌ إِنْ قَسَتْ فَرَطَ عُلُوِّهَا حَسَبَتْ الثَّرْيَا فِي قَرَارِ قَلْبٍ^(٢)
وَأَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعِشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبِرِّ كَانَ الْبِرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
مَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي التَّقْوَى^(٣) قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أَخْسِنَ بِرُّبِّكَ ظَنًّا فَلِئْلَهُ عِنْدَ ظَنِّكَ
وَاجْعَلْ مِنَ اللَّهِ حِصْنًا فَلِئْلَهُ خَيْرُ حِصْنِكَ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ قَوْلَ أَبِي الْفَتْحِ:

إِذَا خَدَمْتَ الْمَلُوكَ فَالْبَسْ مِنَ التَّوْقِيِ أَعَزَّ مَلْبَسٍ
وَكُنْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَكُنْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي التَّوَسُّطِ فِي الْأُمُورِ:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَلِئْلَها نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا
وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْهَيِّةِ^(٤) قَوْلَ بَعْضِهِمْ:

يُغْضِي حَيَاءً وَيَغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مَدْحِ الْوَالِيِ قَوْلَ مُسْلِمٍ:
إِنَّمَا كُنَّا كَأَرْضٍ مَيْتَةٍ لَيْسَ لِلزَّائِرِ فِيهَا مُنْتَظَرٌ

(١) الرِّفْقُ: لِينُ الْجَانِبِ أَوْ اللَّطْفُ وَخِلَافُ الْعَنْفِ.

(٢) الْقَلْبُ: الْبَشَرُ قَبْلَ أَنْ تُبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوَهَا (يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ) (ج) قُلُوبٌ.

(٣) التَّقْوَى: عَمَلُ بَطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورِ اللَّهِ.

(٤) الْهَيِّةُ: الْمَخَافَةُ أَوْ الْإِجْلَالُ.

فَحْيَيْنَا بِكَ إِذْ وَلَّيْتَنَا وَكَذَاكَ الْأَرْضُ تَحِيَا بِالْمَطَرِ
وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ جَبَلَةَ^(١) (٢):

دَجَلَةٌ تَسْقِي وَأَبُو غَانِمٍ يُطْعِم مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ
وَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ
وَلِعَلِّيُّ بْنُ الْجَهْمِ^(٣):

بَا بَنِي طَاهِرٍ^(٤) خَلَلْتُمْ مِّنَ النَّاسِ سِ مَحَلِّ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِّنَ الدَّهْرِ رَيْبٌ عَمَّ مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الْأَنَامِ
وَلَا بِنَ الرُّومِيِّ:

كُلُّ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مُحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
فَأَنْتُمْ شَجَرُ الْأُتْرُجِ طَابَ مَعَا حَمَلًا وَنُورًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي طَبِيبِ فَصَادٍ^(٥) قَوْلُ كَشَاجِمٍ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ وَجَدْتُ أَخَا لَسْتُ بِذَا الدَّهْرِ مِثْلَهُ وَاجِدُ
أَسْكُنُ فِي صَحْبَتِي إِلَيْهِ فَإِنْ مَرَضْتُ كَانَ الطَّبِيبُ وَالْعَائِدُ
أَحْنَى عَلَيَّ كُلِّ مَنْ يَعَالِجُهُ مِّنَ الشَّقِيقِ الشَّقِيقِ وَالْوَالِدُ
يَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخَاطِبَهُ مَا أَنْتَ مِنْ كُلِّ عِلَّةٍ وَاجِدُ
كَأَنَّمَا تَحْتَ مَا يَجْسُ بِهِ قَلْبٌ دَلِيلٌ وَنَاطِرٌ رَائِدُ
كَأَنَّمَا طَرَفُهُ لِمَبْضَعِهِ مُتَّصِلٌ فِي طَرِيقِهِ الْقَاصِدُ^(٦)
كَأَنَّهُ مِنْ نَصِيحَةٍ وَتُقَى لِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ قَاصِدُ
يُبْقِي عَلَيْنَا دَمَ الْحَيَاةِ وَلَا يُخْرِجُ مَقْدَارَ مَا يَزِيدُ عَلَى الْـ
يُخْرِجُ مَقْدَارَ مَا يَزِيدُ عَلَى الْـ

(١) هو علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الأنباوي (١٦٠ - ٢١٣ هـ = ٧٧٧ - ٨٢٨ م) من أبناء الشيعة الخراسانية. أبو الحسن المعروف بالعكوك، شاعر عراقي مجيد، كان أعمى أسود أبرص، ومن أحسن الناس إنشاداً. ولد بقرب بغداد، قتله المأمون.

الأعلام ٢٦٨/٤، وسقط اللآلي ٣٣٠، والأغاني ٢٠/٢٠، والشعر والشعراء ص ٥٨٧.

(٢) البيتان في الشعر والشعراء ص ٥٨٧، وفي الأغاني ٤٨/٢٠.

(٣) البيتان في الأغاني ٢٧١/١٠.

(٤) في الأغاني ٢٧١/١٠: مصعب.

(٥) الفصد: إخراج مقدار من الدم من الوريد بقصد العلاج.

(٦) الْمَبْضَعُ: المشرط (ج) مباضع.

إِنْ جَمَدَ الطَّبْعُ حُلَّ مِنْهُ وَإِنْ ذَابَ انْحِلَالاً أَعَادَهُ جَامِداً
مُتَّسِعُ الْكَمِّ غَيْرَ ضَائِرِهِ يَسْعُدُ فِي لَطْفِ كَفِّهِ السَّاعِدُ
مُبَارَكُ الشَّخْصِ حِينَ تَبْصُرُهُ تُوقِنُ بِالْبِرِّ أَنَّهُ وَارِدُ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي طَبِيبِهِ :

إِذَا سَقَامَ عَرَاكَ نَازِلُهُ فَاَنْدَبَ أَبَا جَعْفَرٍ لِنَازِلِهِ
يَعْرِفُ مَا يَشْتَكِيهِ صَاحِبُهُ كَأَنَّهُ حُلٌّ فِي مَفَاصِلِهِ
أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي وَصْفِ مَزِينٍ قَوْلَ الطَّبْرِيِّ :

إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ الْمَزِينَ قَدْ أَصْبَحَ رَأْساً فِي حَلْقِهِ الرُّؤُوسَا
لَوْ لَمْ تَقْع... ^(١) عَلَى فَخْذِي مَا كَانَ قَدْ وَقَعَ مَخْسُوسَا
وَقَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ فِي مَنْجَمٍ ^(٢) :

صَدِيقٌ لَنَا عَالِمٌ بِالنَّجْوِ مِ يَحْدُثُنَا بِلِسَانِ الْمَلِكِ
وَيَكْتُمُ أَسْرَارَ إِخْوَانِهِ وَلَكِنْ يَنْمُ بِسَرِّ الْقَلْبِ

الباب السابع عشر

في الشكر والعذر والاستمache والاستباحة وما يجري مجراها

من أحسن ما قيل في الشكر والثناء قول بعضهم :

رَهْنَتْ يَدِي لِلْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ يَدِهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ شَيْئاً يَسْتَطَاعُ اسْتَطْعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يَسْتَطَاعُ شَدِيدُ
مِنْ أَحَاسَنِ أَبِي نَوَاسٍ ^(٣) :

قَدْ قَلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِراً مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفاً
أَنْتَ أَمْرٌ حَمَلْتَنِي ^(٤) نِعْمَا أَوْهَنْتَ ^(٥) قَوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

(١) بياض في الأصل .

(٢) المُنْجَمُ : الناظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها في طلوعها وغروبها ويستطلع من ذلك أحوال الكون (ج) منجمون .

(٣) الأبيات في الشعر والشعراء ص ٥٥٩ .

(٤) في الشعر والشعراء ص ٥٥٩ : أوليتني .

(٥) في الشعر والشعراء ص ٥٥٩ : أوهت .

لا تَسْدِينُ^(١) إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
ومن الأحاسن قول إبراهيم بن المهدي للمأمون:
رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبِلَ رَدُّكَ مَا لِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأَبْتَ عَنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
وقول أبي تمام:

لِإِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ إِنِّي لَفِي اللَّؤْمِ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصِّقَالِ بِهَاءِ الصَّارِمِ الْخِذَمِ^(٢)
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دَمِي
وله أيضاً:

مُمْطَرًّا لِي بِالْجَاوِ وَالْمَالِ لَا أَلْ قَاكَ إِلَّا مُسْتَوْهَبًا أَوْ وَهُوبًا
فَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءَ وَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيبًا^(٣)
من أحسن ما قيل في شكر إعادة البر قول جحظة:

مَا زِلْتَ تَحْسُنُ ثُمَّ تَحْسُنُ عَائِدًا وَأَعُوذُ شَاكِرَ نِعْمَةٍ فَتَعُوذُ
وَتَزِيدُ فِي النُّعْمَى وَأَشْكُرُ جَاهِدًا وَكَذَاكَ نَحْنُ نَعْبُدُ لِي فَأَعُوذُ
ومن أحسن ما قيل في العذر قول إبراهيم بن المهدي:

أَغْنِنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَظَرَةٍ تَزُولُ بِهَا عَنِّي النِّمَاحَةُ وَالذُّلُّ
فَلَا أَكُنْ أَهْلًا لِمَا مِنْكَ أَرْتَجِي فَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ أَهْلُ
وَعَفْوُكَ أَرْجُو لَا الْبِرَاءَةَ إِنَّهُ أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
وقوله أيضاً:

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَفَضْلُ وَإِنْ أَخَذْتَ فَعَدْلُ

ومما ينخرط في سلك هذا الفصل قول ابن المعتز وهو نهاية في الحسن والظرف:

سَيِّدِي قَدْ عَثَرْتُ خُذْ بِيَدِي وَلَا تَدْعَنِي وَلَا تَقُلْ تَغْسَا

(١) في الشعر والشعراء ص ٥٥٩: لا تُحْدِثُنِ.

(٢) خذم الشيء: قطعه بسرعة.

(٣) الرشاء: جبل الدلو (ج) أرشية.

واعفُ فإنْ عُذْتُ فاعفُ ثانيةً فَقَدْ يداوي الطبيبُ مَنْ نَكَسَا^(١)
 وقول عبيدالله بن عبد الله بن طاهر:
 ذنبي إليك عظيمٌ وَأَنْتَ أعْظَمُ مِنْهُ
 ضيّعتُ عرفكَ عندي وَلَمْ أَصْنَهُ فَصْنَهُ
 إنْ لَمْ أَكُنْ فِي فعالي حَزّاً كَرِيماً فَكُنْهُ
 وقول أبي علي:

وَلَوْ أَنَّ فرعونَ لَمَّا طَغَى وَقَالَ عَلَى اللَّهِ إِفْكَاً وَزُوراً^(٢)
 أَنَابَ إِلَى اللَّهِ مُسْتَغْفِراً لَمَّا وَجَدَ اللَّهَ إِلَّا غَفوراً
 ومن أحاسن الاستماعات قول البحتري:

يَذُكَ عِنْدِي قَدْ أَبْرَ ضِياؤُهَا عَلَى الشَّمْسِ حَتَّى كَادَ يَخْبُو سِرْاجُهَا
 فَإِنَّ تَلْحَقَ النُّعْمَى بِنُعْمَى فَإِنَّهُ يَزِينُ اللَّالِيءِ فِي النِّظَامِ اازْدِواجُهَا
 وَلَمْ أَسْمَعْ أَشَدَّ تَصْرِيحاً فِي الاستماعةِ مِنَ الْخَلِيعِ^(٣) حَيْثُ يَقُولُ:
 أَنَا جَامِدٌ أَنَا شَاكِرٌ أَنَا ذَاكِرٌ أَنَا جَائِعٌ أَنَا رَاجِلٌ أَنَا عَارِي
 هِيَ سَتَّةٌ فَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصْفِهَا أَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصْفِهَا يَا بَارِي^(٤)
 وقول بعضهم:

العَارُ فِي مَدْحِي لَغَيْرِكَ فَاكْفَنِي بِالْجُودِ مِنْكَ تَعَرُّضِي لِلْعَارِ
 وَالنَّارُ عِنْدِي فِي السُّؤَالِ فَهَلْ تَرَى أَلَّا تُكَلِّفَنِي دُخُولَ النَّارِ
 ومن أحاسن ما فِي استهداء الشراب قول نصر:
 أَسْرُ الْهَدَايَا مَا تُسْرُ بِهِ النَّفْسُ وَأَنْسُ شَيْءَ مَا يَتِمُّ بِهِ الْأَنْسُ
 وَأَفْضَلُ مَا يَهْدِي إِلَى الشَّيْءِ جِنْسُهُ فَلِلرَّوْحِ أَهْدِ الرَّاحَ فَهِيَ لَهَا جِنْسُ
 وقول الآخر:

- (١) التُّكْسُ: عود المرض بعد النّقه.
 (٢) الْإِفْكَ: الكذب أو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء.
 (٣) هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي (١٦٢ - ٢٥٠ هـ = ٧٧٩ - ٨٦٤ م) من مواليتهم أو هو منهم أبو علي، شاعر من ندماء الخلفاء، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي في بغداد. اتصل بالأمين العباسي وناداه ومدحه، ولما ظفر المأمون خافه الخليل فأنصرف للبصرة، حتى صارت الخلافة للمعتصم فعاد ومدحه ومدح الواقف. وكان يلقب بالأشقر.
 الأعلام ٢/ ٢٣٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٦٢، والأغاني ٧/ ١٦٣، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢٨.
 (٤) ضمن الرجل: كفه أو التزم أن يؤدي عنه ما قد يقصر في أدائه.

جَعَلْتُ فِدَاكَ بَعْضَ النَّاسِ عِنْدِي وَفِيهِمْ مَنْ يُودُّكَ مِثْلَ وَدِّي
وَفِي الْمَشْرُوبِ ضَيْقٌ وَهُوَ شَيْءٌ إِذَا أَنْفَذْتُهُ حَصَلَتْ حَمْدِي
فَأَنْفَذَ مَا اسْتَطَعْتُ بِلا مَزَاجٍ فَإِنَّ الْمَاءَ لَيْسَ يَضِيقُ عِنْدِي

وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِسْتِزَادَةِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ:

أَيُّهَا الْمُنْصَفُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا أَصْبَحْتَ مِمَّنْ ظَلَمَ
كَيْفَ تَرْضَى الْفَقْرَ غَرَسًا لَامَرِيءَ وَهَوًّا لَا يَرْضَى لَكَ الدُّنْيَا أَمَةً

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

هَزَزْتُكَ لَا أَنِي وَجَدْتُكَ نَاسِيًا لِيَوْعِدَ وَلَا آتِي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
وَلَكِنْ وَجَدْتُ السِّيفَ عِنْدَ انْتِضَائِهِ إِلَى الْهَزِّ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ مَاضِيًا^(١)

وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ:

أَبَا حَسَنِ شَفَعْتُ إِلَى اللَّيَالِي بِوَدِّكَ إِنَّهُ أَزْكَى شَفِيعِ
إِذَا أَكْدَا الرِّبْعَ فَلَيْسَ خَيْرٌ يَوْمُ لِّلْحَيَا بَعْدَ الرِّبْعِ

الباب الثامن عشر في مساوئ الأخلاق والأهاجي

قال بعض الرواة أهجى بيت للعرب قول الأعشى^(٢):

تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مَلَأَ بِطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتِي يَبْتَنَ خَمَائِصًا^(٣)

وَقَوْلُ الْأَخْطَلِ^(٤):

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كَلَبَهُمْ قَالُوا لِأَمْهُمْ بُؤْلِي عَلَى النَّارِ^(٥)

(١) انتضى السيف: استله من غمدته.

(٢) انظر ترجمته في الأغاني ١٢٧/٩، وفي الشعر والشعراء ص ١٥٤.

(٣) البيت في الأغاني ١٤٢/٩.

الْقَرْتُ: أيسر الجوع، وقيل: شدته، وقيل: الجوع عامة والأنثى غرئت وغرثانة والجمع غرثى وغرثى وغرثى وغرثى.

(٤) الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو (١٩ - ٩٠ هـ = ٦٤٠ - ٧٠٨ م) أبو مالك، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام. نشأ على المسيحية. له ديوان شعر.

الأعلام ١٢٣/٤، وخزانة ٢١٩ - ٢٢١، والأغاني ٢٩٠/٨، والشعر والشعراء ص ٣١٩.

(٥) البيت في الأغاني ٣٣٠/٨.

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ أَهْجَى بَيْتَ لِلْمُحَدِّثِينَ قَوْلَ مُسْلِمٍ فِي الْحَكَمِ^(١):

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَإِنَّتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ دُونَهُ عِرْضُ عَزِزَتٍ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
وَقَوْلُ أَيْضاً^(٢):

قُبِّحَتْ مَنَازِلُهُمْ^(٣) فَحِينَ بَلَوْتَهُمْ^(٤) حَسُنَتْ مَنَازِلُهُمْ^(٥) لَقُبِّحَ الْمَخْبِرُ
وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ:

بِمَا أَهْجَوُكَ لَا أُدْرِي لِسَانِي فَيْكَ لَا يَجْرِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي عِرْضِ — كَأَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ فِي اللَّوْمِ:

وَمَنَازِلُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا سَاحَةٌ إِلَّا وَفِيهَا سَائِلٌ مُحَرُّومُ
عِرْصَاتُ لَوْمْ لَمْ يَكُنْ لَسَيِّدٍ وَطَنًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِنَّ كَرِيمُ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي شَرَفِ الْأَصْلِ وَلَوْمْ: النَّفْسُ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ:

وَمَا الْحَسْبُ الْمُرُوثُ لَا دَرْدَرُهُ بِمَحْتَسِبٍ إِلَّا بِآخِرٍ مَكْتَسِبٍ
إِذَا الْعُودُ لَمْ يَشْمَزْ وَإِنْ كَانَ شَعْبَةً مِنْ الْمُثْمَرَاتِ اعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ
وَقَوْلُ الْآخَرِ:

أَبُوكَ أَبٌ حَرٌّ وَأَمَّكَ حَرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحَرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
فَلَا يَعْجِبُنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهُمَا فَمَا خَبْتُ مَنْ فَضُّهُ بِعَجِيبٍ
مَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الثَّقِيلِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ:

إِذَا أَقْبَلَ لَا أَقْبِلُ — لَقُلْنَا كُلُّنَا آءٌ
وَإِنْ أَدْبَرَ كَبُرُ — رَنَا جَمِيعاً وَلَعْنَاءُ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْقَبِيحِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ:

قُبِّحَتْ وَزَدَتْ فَوْقَ الْقَبِيحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْفِرَاقِ
مَسَاوِيءَ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى نِسَاءٍ لَمَّا أُمِيزْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

(١) البیتان فی الأغانی ١٩/٥٢.

(٢) البیت فی الأغانی ١٩/٤٠.

(٣) فی الأغانی ١٩/٤٠: مناظره.

(٤) فی الأغانی ١٩/٤٠: خبرته.

(٥) فی الأغانی ١٩/٤٠: مناظره.

وقول الآخر:

وجه أبي عمرو اللعين به في القبح والبرد يضرب المثل
كأنه في اتساع صورته روثه ثور قد داسها جمل^(١)

ومن أحسن ما قيل في ذوي المنظر الجميل ولا خير عندهم:
إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغررك منظره الأنيق
له عرف وليس لديه عرف كبارقة تروق ولا ثريق
فلا تخشى العداوة منه أصلاً كما بالوعد لا يثق الصديق
ومن ملح الصابي قوله في وصف أبخر:

مَضَغَ الهندي للـ هرة خبزاً قَرَمَها
فَدَنَّتْ مِنْهُ فشمَّتْ هـ فظئَتْهُ... مَرَاهَا
فَحَنَّتْ تُرَاباً عَلَيْهِ ثُمَّ وَلَّتْهُ قَمَاهَا^(٢)
وقوله في هجاء معلم:

وكيف يرجى العقل والفضل عند مَنْ يروح إلى أنثى ويغدو إلى طفل
وليس في هجاء أعمى أحسن من قول القائل:
كيف يرجو الحياء منه صديق ومكان الحياء منه خراب

الباب التاسع عشر

في الأمراض والعيادات وما ينضاف إليها

أحسن ما قيل في مدح الصحة وذم المرض قول بشار بن برد:
إني وإن كان جمع المال يُعجبني فليس يعدلّ عندي صحّة الجسد
في المال زين وفي الأولاد مكرمة والسقم ينسيك ذكر المال والولد
وقول عترة:

المال للمرء في معيشته خير من الوالدين والولد
وإن تدّم نعمة عليه تجد خيراً من المال صحّة الجسد

(١) الروثة: واحدة الروث: خُرء ذوات الحافر.

(٢) حثا التراب ونحوه: انهال. وحثا فلان التراب وعليه: هالّة.

وَمَا يَمَنْ نَالَ فَضْلَ عَافِيَةٍ وَقَوْتُ يَوْمَ فَقَرُّ إِلَى أَحَدٍ
من أحسن ما قيل في عيادة السادة قول بعضهم:

قَالُوا أَبُو الْفَضْلِ مَعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ: نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مُحْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتْهُ بِي غَيْرَ أَنْ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَأَنْتِي غَيْرَ مَاجُورٍ
ومن أحسن ما قيل في عيادة الإخوان قول بعضهم:

إِنْ كُنْتُ فِي تَرْكِ الْعِيَادَةِ تَارِكًا حِظِّي فَلِأَنْتِي فِي الدَّعَاءِ لِمُجَاهِدٍ
وَلَرُبَّمَا تَرَكَ الْعِيَادَةَ مُشْفِقٌ وَأَتَى عَلَى كَرِهِ الضَّمِيرِ الْحَاسِدِ
ومن أحسن ما قيل في مرض الحبيب قول أبي تمام:

إِنَّ وَجْهَ الْحِمَى لَوَجْهٌ صَفِيْقٌ حِينَ خَلْتُ بِهِ نَهَاراً جَهَاراً^(١)
لَمْ تُشِنْ وَجْهَ الْمَلِيحِ وَلَكِنْ حَوَّلَتْ وَرْدَ وَجْنَتِيهِ بَهَاراً
وقول الآخر:

غَيَّرَتِ الْعِلَّةُ مِنْ وَجْهِهِ مَا كَانَ فِيهِ فِتْنَةُ الْعَالَمِينَ
وَلَمْ تُشِنْ وَجْهًا وَلَكِنَّهَا غَيَّرَتْ التَّفَاحَ بِالْيَاسَمِينَ
وقول الآخر:

وَلَوْ أَنَّ الْمَرِيضَ يَزِيدُ حَسَنًا كَمَا تَزْدَادُ أَنْتَ عَلَى السَّقَامِ
لَمَا عَيْدَ الْمَرِيضُ إِذَا وَعَدْتُ لَهُ الشُّكُوى مِنَ الْمَنْحِ الْعِظَامِ
وأحسن ما سمعت في هذا الباب قول بعضهم:

مَرِيضَ الْحَبِيبِ فَعَدَّتْهُ فَمَرَضْتُ مِنْ حَذْرِي عَلَيْهِ
فَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي فَبَرِئْتُ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ
وأحسن ما قيل في الحمى:

وَزَائِرَةٌ بِلا وَعْدٍ أَتَتْني فَحَلَّتْ بَيْنَ جَسَمِي وَالْفَوَادِ
سَنَانٌ لِلْمَنَايَا إِنْ تَرَاءَتْ لِنَفْسِي فَالْمَنَايَا فِي طَرَادِ
ومن أحسن ما قيل في العتاب على ترك العيادة قول بعضهم:

لَمَّا اعْتَلَلْتُ تَجَافَى عَن مَوَاصِلَتِي مَنْ كُنْتُ أَرْصَدُهُ لِلْبَرِّ وَالسَّقَمِ
إِنْ عَاقَهُ الشُّغْلُ عَن إِيْتَانِ مَكْرَمَةٍ فَلَمْ يُعِفْهُ عَنِ الْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ

(١) الصفيق: من الوجوه: الوقح.

ويحسن قول الآخر:

حقَّ العيادة يومَ بينَ يومين في جلسة لك مثلُ الملح بالعين
لا تحزننَّ مريضاً في مساءلة يكفيك من ذاك تساؤلُ بحرفين
أحسن ما سمعت في البرء بعد الإشراف على الموت قول ابن المعتز:
أتاني برء لم أكن فيه طامعاً ككل أسير بعد شد وثاقه
فإن كنت لم أخرج من الموت جرعة فلأني مجت الموت بعد مذاقه
أحسن ما سمعت في التهئة قول المتنبى^(١):

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم
وما أخضك في برء بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا
وقول ابن المعتز في شرب الدواء:

لا زلت في غبطة من الزمن لا يرتع السقم منك في البدن
وجال نفع الدواء فيك كما يجول ماء الربيع في الغصن

الباب العشرون

في التهاني والتهادي

أول من هنا بالعرس عدي بن الرقاع^(٢) في بعض خلفاء بني أمية:
قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وازت الأستار مثلهما فيمن رأيناه فممن سمعا
دام السرور له بها ولها وتهناء طول الحياة معا
وكتب مؤلف الكتاب إلى بعضهم:
قد ليس الدهر حسن زهرته مذ زوج المشتري بزهرته
وفي اقتران السعدين ما فيه من إشراق وجه العلى ونضرتيه
فالطرف مستأنس بقرته والقلب يطوي على مسرتيه

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٢٧٢/١ وهما من البسيط.

(٢) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع (توفي نحو ٩٥ هـ = نحو ٧١٤ م) من عاملة، شاعر كبير من أهل دمشق، يكنى أبا داود، كان معاصراً لجبرير، مهاجياً له. مات في دمشق. له ديوان شعر. الأعلام ٢٢١/٤، والأغاني ٣٥٠/٩.

ومن أحسن ما سمعت في التهته بمولود قول ابن الرومي:

شمسٌ ويدِرْ ولدا كوكباً أقسمتُ بالله لَقَدْ أَنْجَبَا
ثلاثة تشرق أنوارها لا بدلت من مشرق مغربا
تبارك الله وسبحانه أي شهاب منكم أثقبا
أحسن ما سمعت في التهته بخلة^(١) قول بعض الكتاب:

أبا محمد المأمول نائله فكت البرية طراً أيما فزوت
زهت بك الخلعة الميمون طائرهما كزهو كسوة بيت الله بالبيت^(٢)
أحسن ما سمعت في التهته بقدوم من سفر قول ابن الرومي:

قدمت قدوم المشتري في سعوده وأمرك عال صاعد كصعوده
لبست سناه واعتليت اعتلاءه وتأمل أن تحظى بمثل خلوده
أحسن ما قيل في التهته بشهر رمضان:

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك الإله ما تثقيه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر أو مثل ليلة القدر فيه
وقول الصابي في الأضحى^(٣):

مرجيك وصابيك هذا الأضحى يهنيك
ويدعوك والله مجيب ما دعا فيك
أراني الله أعداء ك في حال أضا حيك
وللصاحب في فضل الهدية:

إن الهدية حلوة كالسحر تجلب القلوب
تدني البعيد من الهوى حتى تصيره قريباً
أحسن ما سمعت في الاعتذار إلى الملوك من الإهداء:

على العبد حق فهو لا بد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله

(١) الخلعة: الثوب تخلعه وتمنحه غيرك.

(٢) الميمون: صاحب اليمن والبركة.

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٠ وهي من الهزج وروايتها فيه:

- مرجيك وصابيك هذا الأضحى يهنيك
- ويدعوك والله مجيب ما دعا فيك
- أراني الله أعداء ك في حال أضا حيك

أَلَمْ تَرَنَا نَهْدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غِنَى فَهُوَ قَابِلُهُ
وفي معناه قول أبي طباطبا:

لَا تُنْكِرَنَّ إِذَا أَهْدَيْتَ نَحْوَكَ مِنْ عِلْمِكَ الْغُرُّ أَوْ آدَابِكَ التُّنْقَا
فَقِيمُ الْبَاغِ قَدْ يُهْدِي لِمَالِكِهِ بِرِسْمِ خِدْمَتِهِ عَنْ بَاغِهِ التُّحْفَا

كتب أحمد بن يوسف إلى علي بن يحيى:

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَأَحْوَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَّةِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدٍ مَالِي إِذَا فَكَّرْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدِ نَفْسِي فَهِيَ فِي مُلْكِهِ أَوْ أَهْدِ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْبَحْمُذُ وَالشُّكْرُ وَالـ مَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

ومنها كتب إلى بعض الرؤساء:

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عَنْ هَمَّتِي وَهَمَّتِي تَعْلُو عَلَى مَالِي
فَخَالِصُ الْوُدِّ وَمَحْضُ الْهَوَى أَحْسَنُ مَا يَهْدِيهِ أَمْثَالِي^(١)

ومن أحسن ما قيل في إهداء خاتم قول بعض الكتاب:

هَدِيَّتِي خَاتَمٌ لِذِي أَدَبٍ مُذَكَّرَةٌ عَهْدٍ حَاتِمَةٌ
لَوْ نُقِشَتْ مُقْلَةً بِنَازِلِهَا لَصَيَّرَ الْعَيْنَ فَصَّ خَاتِمَةٌ

أحسن ما قيل في إهداء كرسي قول منصور الفقيه:

عِشْتُ حَمِيداً وَطَالَ عَمْرُكَ وَطَابَ فِي الْمَكْرُمَاتِ ذِكْرُكَ
أَهْدَيْتَ شَيْئاً يَقِلُّ لَوْلَا أَحْدُوثةُ الْفَالِ وَالْتِّبْرُكَ
كُرْسِي تَفَاءَلْتُ فِيهِ لَمَّا رَأَيْتُ مَقْلُوْبَهُ يَسْرُكَ
وأهدى بعضهم إلى صديق له نبأ^(٢) وكتب إليه:

تَفَاءَلْتُ بِأَنْ تَبْقَا فَأَهْدَيْتُ لَكَ التُّنْبُقَا
فَأَبْقَاكَ إِلَهُ الْخَلْدِ قِي مَا سَرَّكَ أَنْ تَبْقَى
وَأَشَقَى الْلُؤْلُؤَ شَانِيهِ كَ وَحَاشَا لَكَ أَنْ تَشْقَى

(١) المحض من كل شيء: الخالص.

(٢) التُّبُق: ثمر شجر السدر.

أحسن ما قيل في إهداء النعل^(١):

نعلٌ بعثتُ بها لِتَلْبَسَهَا قدّم لها درجٌ إلى المجدِ
لو كانَ يصلحُ أن يشرّكها خدّي جعلتُ شراكها خدّي^(٢)
وفي إهداء السكين قول جحظة:

أهديتُ سكيناً إلى سيّد شرّفه اللّهُ بآرائه
رأيتها في كفّ ذي نجدة تعملُ في أرواح أعدائه
وكتب مؤلف الكتاب إلى صديق له أهداه سكرّاً وشمعاً:

بعثتُ إلى سيّدي سكرّاً حلاوته في قرار الصدورِ
وشمعاً يمزقُ ثوبَ الدجى ويلبسُ جيرانه ثوبَ نورِ

الباب الحادي والعشرون

في المراثي والتعازي

من أحاسن المراثي قول ابن المعتز:

قد استوى الناسُ وماتَ الكمالُ وغالَ صرفُ الدهرِ زينَ الرجالِ
هذا أبو القاسمِ في نعشه قوموا انظروا كيفَ تزولُ الجبالِ
وقول بعضهم:

عجباً للموتِ في تصرّيفه ليسَ يخسُو كاسه إلا خطيرُ
يدعُ الأذنانَ ما يقرُّ بها وعلى الهاماتِ ما زالَ يدورُ
ومن أحاسن ما قيل في المقتولين قول ابن الرومي:

كسّته القنا حلّةً من دَمٍ فأضحتْ لدى اللّهِ من أرجوان^(٣)
جزّته معانقةُ الدارعينَ معانقةُ القاصراتِ الحسانِ
وقول منصور الفقيه في المراثي:

أقولُ وقد هدّني قولُهُم مضى ابنُ عقيلٍ إلى ربّه

(١) النعل: الحذاء.

(٢) الشراك: سير النعل على ظهر القدم (ج) شُرْك وأشرك.

(٣) الأرجوان: صبغ أحمر كان الفينيقيون يستخرجونه من بعض الصدف، أو هو شجر من الفصيلة القرنية له شجر شديد الحمرة.

لَئِنْ أَشْبَهَ النَّاسَ فِي مَوْتِهِ فَقَدْ عَاشَ دَهْرًا بِلا مُشْبِهِ
ومن أحسن ما قيل في مرثية المصلوب قول ابن الأنباري :

عُلُوُّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لَحَقُّ أَنْتَ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ
كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا وَفَوْدُ نِدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ احْتِفَاءً كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ تَضُمَّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
وَصَارُوا الْجَوُّ قَبْرَكَ وَاسْتَنْابُوا عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ تَبِيْتُ تُرْعَى بِحِرَاسٍ وَخُفَاطِ ثِقَاتِ
أَتَشْعَلُ عِنْدَكَ النَّيْرَانُ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
رَكِبْتَ مَطِيئَةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٍ عُلَاهَا فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَاتِ
وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسٍ تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْبِيرَ الْعِدَاةِ
أَسَأْتُ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَشَارْتُ فَآتَتْ قَتِيلُ ثَارِ النَّائِبَاتِ
وَكُنْتَ تَجِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي فَعَادَ مَطَالِبًا لَكَ بِالْتِرَاتِ
وَلَوْ أَنِّي قَدِرْتُ عَلَى قِيَامٍ بِفَرْضِكَ وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي وَنَحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ
وَلَكِنِّي أَصْبَرُ عَنْكَ نَفْسِي مَخَافَةً أَنْ أَعْدُ مِنْ الْجِنَّاتِ
وَمَالِكَ ثُرْبَةٍ فَأَقُولُ تُسْقَى لَأَنَّكَ نَصَبُ هَاطِلِ الْهَاطِلَاتِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتَرَى بِرَحِمَاتِ غَوَادِ رَائِحَاتِ

ومن أحسن ما قيل في مرثية الولد قول العتبي :

دَعْوَتُكَ يَا بُنَيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي قَرُدْتُ دَعْوَتِي بِأَسَى عَلِيًّا
بِمَوْتِكَ مَاتَتِ اللَّذَاتُ عَنِّي وَكَأَنَّتَ حَيَّةً إِنْ كُنْتَ حَيًّا
فَيَا أَسْفِي عَلَيْكَ وَطَوَّلَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ رَدُّ شَيْءٍ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

أَبْعَدَ الشَّمْلِ وَالنَّعْمِ إِصْبُرْتُ إِلَى الْقَبْرِ
فَمَا يَشْهَدُكَ الْأَهْلُو نَ إِلَّا هَيْئَةَ السَّفْرِ
يَزُورُونَكَ فِي الْعِيدِ نِ فِي الْفِطْرِ وَفِي النَّحْرِ

وَقَدْ كُنْتَ وَكَانُوا لَكَ فِي الْأَلْطَافِ وَالْبِرِّ
وَمَا تَنْزِلُ مِنْ نَحْرِ فَلَسَمَا وَقَعَ الْيَأْسُ
وَفِي الْأَحْشَاءِ مِنْ ذَكَرَا لآخر في ولد صغير:

إِنْ يَكُنْ مَاكَ صَغِيرًا كَانَ رِيحَانِي فَقَدْ أَصَا
من أحسن التعازي قول أبي العتاهية:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَشْجِي بِهَا
وقول آخر متنازع فيه:

إِنِّي أَعَزِّيكَ لَا أَتِي عَلَى ثِقَةٍ فَمَا الْمُعْزِي بِبَاقٍ بَعْدَ تَعْزِيَةٍ
وقول ابن المعتز:

لَا تَحْزَنْ وَتُقِيتَ الْحُزْنَ وَالْأَلَمَ أَلَيْسَ قَدْ قِيلَ فِيمَا لَسْتَ تَنْكَرُهُ
يَا شَامِتًا بِنَبِيٍّ وَهَبٍ وَقَدْ فُجِعُوا
ومن الأمثال السائرة في التعازي:

أَحْسِنْ عِزَاءَكَ عَنْ أَخِيكَ فَإِنَّمَا وَقَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ:

قُلْ لِلْمَلِكِ الْأَجَلِ قَدْرًا إِنِّي أَعَزِّيكَ عَنْ عَزِيرٍ
وَكَانَ طَهْرًا فَصَارَ أَجْرًا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي التَّعْزِي عَنْ الْمَيِّتِ:

يُعْزِي الْمُعْزِي ثُمَّ يَمْضِي لَشَأْنِهِ وَيَسْلُو الْمُعْزِي فِي لَيَالٍ قَلَائِلٍ
وَيَبْقَى الْمُعْزِي فِي أَحْرٍ مِنَ الْجَمْرِ وَيَبْقَى الْمُعْزِي عَنْهُ فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ

الباب الثاني والعشرون

في فنون الأحاسن مختلفة الترتيب

أحسن ما سمعت في الشمعة قول الصاحب^(١):

ورائتُ القَدْ مُسْتَحَبَّ يجمعُ أوصافَ كلِّ صبِّ
صفرةً لونٍ وسكبُ دمعٍ وذوبُ جسمٍ وحرُّ قلبِ
أحسن ما سمعت في جارية سوداء قول بعض الشعراء:

قالوا عشقت من البرية أسودا مهلاً علقت بأضعف الأسبابِ
فأجبتهم ما في البياض فضيلةً وأرى السوادَ نهايةَ الطلابِ
أهوى الشباب لأن رأسي أشيبُ يُدني القنا وأخب لونَ شبابي
وكذلك الكافورُ بردٌ قاطعُ والمِسْكُ أذكى الطيبِ للتطيابِ
للمقلة الحسناء فيه تفاخرُ وبه تَتِمُّ صنائعُ الكتابِ
وبه يُجَمَّلُ كفُّ كلِّ خريدةٍ وبه تُكْحَلُ عينُ كلِّ كعابِ^(٢)
فَتَتَغَتَّعُوا عندَ الجوابِ وعادتي أنْ تخرُسَ النطاقُ عندَ جوابي^(٣)

أحسن ما قيل في النهي عن احتقار العدو الصغير:

فَلا تحتقرنَ عدواً رَما كَ وَلَوْ كَانَ في ساعديه قصرُ
فإنَّ السيوفَ تحزُّ الرقا بَ وتعجزُ عَن أنْ تَنالَ الإبرُ

أحسن ما قيل في الشماتة بموت عدو:

قلْتُ لَهُ لَمَّا مَضَى وائْتَقَضَى لا رَدُّكَ الرَّحْمَنُ مِنْ هَالِكِ
يا مَلِكِ المَوْتِ تَسَلَّمْهُ مَنِّي فَسَلَّمْهُ إِلَى مالِكِ

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٣٠٨ وهما من مخلع البسيط.

(٢) الخريدة: من النساء: البكر والخفرة الحية الطويلة السكوت المسترة.

(٣) تتع فلان في كلامه: تردد فيه من عي أو حصر.

أحسن ما قيل في الاعتذار عن الخط الدقيق :

تَقُولُ وَقَدْ كَتَبْتُ دَقِيقَ خَطِّ إِلَيْهَا لَمْ تَجْنِبِ الْجَلِيلَا
فَقُلْتُ لَهَا عَشَقْتُ فَصَارَ خَطِّي ضَعِيفاً مِثْلُ صَاحِبِهِ نَحِيلَا

أحسن ما قيل في الاعتذار من شكاية خسيس^(١) :

إِنْ كُنْتُ أَشْكُو مَنْ يَدُقُّ عَنِ الشَّكَايَةِ فِي الْقَرِيضِ
فَالْفِيلُ يَجْزَعُ وَهُوَ أَعْ ظَمُّ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْبَعُوضِ

أحسن ما قيل في تسلية محبوس قول البحترى :

أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ يَوْسُفَ لِمِثْلِكَ مَحْبُوساً عَلَى الضِّيمِ وَالْأَفْكِ
أَقَامَ جَمِيلُ الصَّبْرِ فِي السَّجَنِ بَرَهَةً فَاضَ بِهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ إِلَى الْمَلِكِ^(٢)

أحسن ما قيل في بخل الجواد قول بعضهم :

وَرُبَّ جَوَادٍ يَمْسِكُ اللَّهَ جُودَهُ كَمَا يَمْسِكُ اللَّهُ السَّحَابَ عَنِ الْمَطَرِ
وَرُبَّ كَرِيمٍ تَعْتَرِيهِ كَزَاةٌ كَمَا قَدْ يَكُونُ الشُّوكُ فِي أَكْرَمِ الشَّجَرِ^(٣)

أحسن ما قيل في السرور بالبشرى :

وَرَدَّ الْبَشِيرُ بِمَا أَقْرَأَ الْأَعْيُنَا وَشَفَى النُّفُوسَ فَنَلْنَا غَايَاتِ الْمُنَى
فَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ قَسِماً وَكَانَ أَجْلُهُمْ حِطّاً لَنَا

أحسن ما قيل في الوداع :

أَيَا عَجَبِي مَتَى يَمْدُ يَمِينُهُ إِلَى أَلْفِ يَوْمِ الْوَدَاعِ فَيَسْرِعُ
ضَعُفْتُ عَنِ التَّوْدِيْعِ لَمَّا رَأَيْتُهُ فَصَافَحْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ

أحسن ما سمعت في توديع المشكور :

تَفَضَّلْتَ الْأَيَّامَ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ
فَجَذَّ لِي بِقَلْبٍ إِذْ رَحَلْتُ فَإِنِّي مَخْلَفُ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَلَهُ عِنْدِي
وهكذا يقول مؤلف الكتاب للمؤلف له وباسمه هذا الكتاب وقد أزفَ رحيله عن

(١) الخسيس : الدنيء أو النافه .

(٢) البرهة : المدة الطويلة من الزمان (ج) بُرْهَةٌ ، وبرهات .

(٣) الكزاة : الانتباض واليأس .

جنابه كما قال أبو فراس موقر الظهر وقرأ وشكراً فكأنه به وهو ينشد:
وموقفٌ للوداعِ البسني لباسٍ همٌ يسوءُ موقعه
فقلتُ والدمعُ قد شَرَقْتُ به: استودعُ اللهَ مَنْ أودَّعهُ

آخر كتاب «أحسن ما سمعت»
تم الكتاب والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

فهرس المحتويات

| | |
|----|--|
| ٣ | المقدمة |
| ٥ | مقدمة المؤلف |
| ٧ | الباب الأول: في الإلهيات |
| ١٠ | فصل: في الثناء على الله عند وصف الأشياء الحسنة |
| ١٢ | الباب الثاني: في النبويات |
| ١٢ | فصل: في ذكر آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله |
| ١٣ | فصل: في ذكر نوح عليه السلام |
| ١٤ | فصل: في ذكر إبراهيم عليه السلام |
| ١٤ | فصل: في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام |
| ١٥ | فصل: في ذكر موسى عليه السلام |
| ١٥ | فصل: في ذكر داود وسليمان عليهما السلام |
| ١٦ | فصل: في ذكر عيسى عليه السلام |
| ١٦ | فصل: في ذكر النبي المصطفى محمد ﷺ |
| ١٧ | الباب الثالث: في الملوكيات |
| ١٨ | الباب الرابع: في الإخوانيات |
| ٢٥ | الباب الخامس: في الأدبيات |
| ٣٠ | الباب السادس: في الخمریات |
| ٣٨ | الباب السابع: في الربيع وآثاره |
| ٤٤ | الباب الثامن: في الصَّيف والخريف والشتاء |
| ٤٧ | الباب التاسع: في الآثار العلوية |
| ٥٢ | الباب العاشر: في الدنيا والدهر |
| ٥٣ | الباب الحادي عشر: في الأمكنة والأبنية |
| ٥٧ | الباب الثاني عشر: في الطعاميات |
| ٦١ | الباب الثالث عشر: في النساء والتشبيب |
| ٦٦ | الباب الرابع عشر: في الغزل المذكر |
| ٧٩ | الباب الخامس عشر: في الشباب والشيب |

| | |
|--|-----|
| الباب السادس عشر: في مكارم الأخلاق والمدائح | ٨٣ |
| الباب السابع عشر: في الشكر والعذر والاستمache والاستباحة وما يجري مجراها | ٩٠ |
| الباب الثامن عشر: في مساوىء الأخلاق والأهاجي | ٩٣ |
| الباب التاسع عشر: في الأمراض والغيادات وما ينضاف إليها | ٩٥ |
| الباب العشرون: في التهاني والتهادي | ٩٧ |
| الباب الحادي والعشرون: في المراثي والتعازي | ١٠٠ |
| الباب الثاني والعشرون: في فنون الأحاسن مختلفة الترتيب | ١٠٣ |